

وصف بلاد العرب في القرن الخامس الهجري من خلال رحلة سفر نامة لناصر

خسرو (ت481هـ/1088م)

Description of the Arab countries in the fifth century AH through a travel

trip to Nasir

أ.د. عباس فضل حسين المسعودي¹ ، أ.م.د. علي منفي شراد الحساني²¹ جامعة المثنى كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ ، abbas.fadal@mu.edu.iq² جامعة المثنى كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ ، almanfi@mu.edu.iq

تاريخ النشر: 2022/06/11

تاريخ الاستلام: 2020/08/31

ملخص:

تعد سفر نامة لناصر خسرو علوي المتوفى (481هـ/1088م)، والذي تنقل في رحلته بين المشرق الإسلامي إلى مصر مروراً بالعراق، ومن ثم رحلته للحج في الديار المقدسة ووصفه الدقيق لكل ما شاهده في تلك البلاد من أحداث ومشاهد خلدها في متن رحلته، واحتوت على المعلومات المتنوعة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لبلدان وأقاليم الدولة العربية الإسلامية في مختلف أدوارها التاريخية، وبالأخص بلاد العرب في الجزيرة العربية.

وتأتي أهمية البحث بالحديث عن بلاد العرب التي زارها ناصر خسرو في رحلته وبخاصة الحجاز ونجد وبعض المناطق في شرق شبه جزيرة العرب، وذلك لأهمية المنطقة الدينية والسياسية فضلاً عن بعض الجوانب المعيشية للسكان، فقد وصف المدن التجارية والموانئ وطرق الحج البري والبحري، فضلاً عن وصف دقيق للاماكن الدينية الإسلامية المقدسة في الحجاز، وبعضاً من شعائر الحج والعمرة فيها، كما انه وصف بعض الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد العرب. كلمات مفتاحية: ناصر خسرو ، سفر نامة ، مكة ، بلاد العرب، الحجاز، بلاد فارس.

Abstract

One of these important trips is the travel of Nasir Khusraw Alawi (d. 481AH / 1088 AD), who traveled in his journey between the Islamic East to Egypt through Iraq, and then his pilgrimage in the Holy Land and described accurately all the events and scenes that he immortalized on board His journey.-

The Arab countries of the most important areas talked by Nasser Khosro in his trip, especially the Hijaz and Najd and some areas in the east of the Arabian Peninsula, because of the importance of religious and political area as well as some aspects of living of the population, he described the commercial cities and ports and land and sea pilgrimage routes, as well as an accurate description It also describes some of the economic and social activities in the Arab countries

Keywords: Nasir Khusraw, Safarname, Mecca, Arab Countries, Hijaz, Persia

1. مقدمة:

تحتل كتب الرحلات الجغرافية الإسلامية مكانة هامة في التراث العربي الإسلامي، لما تضمنته من المعلومات المتنوعة عن المناطق التي زارها أصحاب تلك الرحلات، التي أعطت وصفا لمجمل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فضلا عن الأديان والمذاهب التي ظهرت في تلك المناطق.

وهذه الدراسة تتطرق إلى وصف بلاد العرب من خلال رحلة سفر نامة لناصر خسرو (ت481هـ/1088م)، الذي سار فيها خلال رحلاته العديدة بهدف أداء فريضة الحج، مرارا بكثير من البلدان عبر بلاد فارس وأسيا الصغرى والشام ومصر ومن ثم الحجاز ونجد وبعدها للبصرة ومنها عاد إلى بلاده.

اقتضت ضرورة الدراسة تقسيمها الى خمسة مباحث رئيسية، تناول المبحث الأول حياة ناصر خسرو، وأثاره الفكرية، فضلا عن أهمية رحلته سفر نامة ومسار تلك الرحلة، فيما جاء المبحث الثاني للحديث عن الوصف الجغرافي لبلاد العرب من خلال هذه الرحلة، أما المبحث الثالث فتناول الأوضاع السياسية للمنطقة، فيما تطرق المبحث الرابع إلى الأوضاع الدينية، وتضمن وصفا للمساجد المقدسة في مكة والمدينة والكعبة المشرفة، فضلا عن معلومات تفصيلية عن رحلات الحج وما يتعرضون من مصاعب خلال توجههم للبيت الحرام، وأخيرا تحدث المبحث الخامس عن الأوضاع الاجتماعية في بلاد العرب والتي كانت قليلة قياسا بما تقدم من المباحث، ومن ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

2. حياة ناصر خسرو، وآثاره الفكرية، وأهمية رحلته ومسارها:

1.2 حياته:

هو ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني (انظر التعليق رقم 1) (خسرو، 1983:33) (محمد، 1374:205) من أهل مرو (أنظر تعليق رقم 2)، ويكنى بأبي معين الدين (خليفة، 1941:5:282)، وتلقب بعدة القاب منها شاعر، وفيلسوف، وحكيم، حميد الدين، حجة والعلوي، وناهيك عن القاب أخرى جاءت أطلقها عليه أهل المنطقة المحيطة بقبره (حسن، 192:2016).

ولد في سنة 394هـ/1003م، في قباديان (حسن، 192:2016) وعاش نيف وأربعون عاما كعامل حكومي متوسط الحال بمدينة مرو في خدمة السلاجقة (انظر تعليق رقم 3) (كرتشكوفسكي، 1961:1:260)، والغريب أن هذا الرجل بالرغم من شهرته الواسعة في مجال الفكر والشعر إلا أن كتب التراجم والطبقات أغفلت ذكره، مما جعل جوانب متعددة في حياته الشخصية مجهولة للباحثين، ولعل كونه من دعاة الإسماعيلية هو السبب (حسن، 192:2016).

ويشير أحد المستشرقين إلى أن ناصر خسرو اعتراه تحول نفسي عميق دفعه إلى التجول سبع سنوات ونهى حياته كداعية للإسماعيلية بمنطقة دخشان (أنظر: التعليق رقم4) الجبلية، ويحتل مكانة مرموقة في الأدب الفارسي وفي تاريخ الحركات الدينية الإسلامية (كرتشكوفسكي، 1961:1:260).

ويكتنف الغموض حياته الاجتماعية فلا نعرف زوجته وأطفاله وحتى لقبه أبو معين، ربما لم يكن من أولاده والذي ورد اسمه في مقدمة كتابه سفرنامه (خسرو، 1983:33)، وتوفي ناصر خسرو في قلعة دخشان في سنة 481هـ/1088م (كرتشكوفسكي، 1961:1:260).

2.2. آثاره الفكرية:

أشار أحد الباحثين إلى أن مؤلفات ناصر خسرو، قاربت 13 مؤلفاً، وأن بعضها لا زال مفقوداً، مما يدل على ولعه بالتأليف العلمي بامتلاكه قابلية فذة وذخيرة لغوية رائعة في مختلف المجالات العلمية(حسن، 194:2016)، ولعل أهم مصنفاته:

1- ديوان ناصر خسرو(حسن، 194:2016).

2- كتاب الصفا(بروان، 269:2004).

3- كتاب السعادة(حسن، 194:2016).

4- زاد المسافرين(بروان، 269:2004).

5- الرسالة(خسرو، 563:1372)

6- بستان العقول(حسن، 194:2016)

7- دليل المتحرين(حسن، 194:2016).

8- وجه الدين(حسن، 194:2016).

9- خوان الاخوان(خسرو، 22:1940).

10- سفرنامه وهي كتاب رحلته.

11- كوشايش وروهايش(حسن، 194:2016).

12- جامع الحكمتين(حسن، 194:2016).

ومؤلفات أخرى نسبت إليه منها لسان العالم اختيار الإمام رسالة الندامة واختيار

الإيمان(حسن، 194:2016).

3.2: أهمية رحلة سفرنامه:

تحتل رحلة سفرنامه مكانة خاصة في أدب الرحلات الإسلامية، لكونها جاءت من الشرق نحو الغرب في عصر شهد انقساماً على الصعيد السياسي، فضلاً عن تعدد الحركات الدينية في العالم الإسلامي وصراعاتها الفكرية والمذهبية، وبالتالي فإن من يقرأ هذه الرحلة سيلاحظ إلى أي حد وصلت التناقضات والاختلافات الدينية والسياسية بين مختلف أقاليم العالم الإسلامي التي مر بها أثناء رحلته.

مما يعزز من أهمية رحلة ناصر خسرو أنها كانت تضم مشاهداته متنوعة وثرية في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، فهو يصف طبائع السكان ويصف عاداتهم وتقاليدهم في كل الأماكن التي زارها صاحب الرحلة، فقد غطى بأخباره جزء من النواحي الشرقية للدولة العباسية، خاصة الفارسية منها ثم أخبار آسيا الصغرى والشرق الأدنى ومصر، فضلاً عن أخبار أهم أجزاء شبه جزيرة العرب وهي الحجاز (انظر التعليق رقم 5) ونجد (انظر التعليق رقم 6) واليمن (حسن، 194:2016).

وتكمن أهمية الرحلة بأن ناصر خسرو دون مشاهداته العينية بدقة وإسهاب منقطع النظير، ووصف حال تلك البلاد بكل صدق وحياديته حتى مع أولئك الذي يتفقون معه في معتقده الديني لم يتورع في ذكره بعض عيوبهم، وهي حالة صادقة نادراً ما نجدها لدى كتاب الرحلات الإسلامية.

4.2: مسار الرحلة:

كان الحج الهدف الأساسي لهذه الرحلة التي انطلقت من مرو في سنة 1046/438م، باتجاه الغرب الإسلامي، فمر بمدينة نيسابور (انظر التعليق رقم 7) في الطريق إلى الري (انظر التعليق رقم 8) (خسرو، 1983:36)، ثم إلى جبل نباوند (انظر التعليق رقم 9)، ومر بعد ذلك قرب بحر قزوين (انظر التعليق رقم 10) وتفليس (انظر التعليق رقم 11) وميفارقين (انظر التعليق رقم 12) وأمد (انظر التعليق رقم 13) ومن ثم إلى حلب وطرابلس (انظر التعليق رقم 14) ومعرة النعمان (انظر التعليق رقم 15) (خسرو، 1983:47).

ثم أخذ طريق الساحل من بيروت فوصل عكا (انظر التعليق رقم 16) ومنها قام بعدة زيارات للاماكن المقدسة ومنها طبرية (انظر التعليق رقم 17) وعاد بعدها إلى عكا ماراً بالرملة (انظر التعليق رقم 18) وبيت المقدس، تخلصها رحلات إلى قرى ومدن صغيرة قريبة منها الخليل (انظر التعليق رقم 19)، ومن القدس قام بأداء أول حجة له سنة 439هـ/ 1047م، ومنها عاد إليها فاخذ طريق البر ماراً بالرملة متجهاً إلى عسقلان (انظر التعليق رقم

(20)، وصعد إلى سفينة نقلته إلى جزيرة تنيس (انظر التعليق رقم 21) بمصر، التي وصف أحوالها وصناعة النسيج التي تشتهر بها هذه المدينة (خسرو: 1983: 55).

أقام ناصر خسرو في مصر عدة سنوات اعتباراً من سنة 439هـ/1047م، وفي هذه الفترة أدى فريضة الحج ثلاث مرات كانت كلها عن طريق البحر من القلزم إلى مرفأ الجار ومنها إلى المدينة ومكة (خسرو، 1983: 76) ويشكل وصف مصر القسم الأساسي من هذه الرحلة، وتعد من أهم المصادر التي تتحدث عن تاريخ القاهرة وخططها أيام الفاطميين، فهو يصف بالتفصيل التجارة وحياة المدينة ورسوم البلاط الفاطمي ونظم الإدارة فيها، وقد أثار دهشته مناظر القاهرة الخلابة، وأبدى إعجابه بمقدار الرخاء والأمن التي كانت تعيشه مصر آنذاك، ومن هنا بدأت رحلته نحو اعتناقه للمذهب الإسماعيلي (كرتشكوفسكي، 1961: 1: 260).

ثم قام برحلته الرابعة والأخيرة للحج في الديار المقدسة، والتي اتخذت مساراً مغايراً لما قام به في حجه السابق، فقد ركب النيل إلى أسوان (انظر التعليق رقم 22)، في سفر شاق لمدة خمسة عشر يوماً سنة 442هـ/1050م، ووصل إلى ميناء عيذاب (انظر التعليق رقم 23) على البحر الأحمر ومنها ركب السفينة إلى مدينة جدة (انظر التعليق رقم 24)، وفي زيارته الأخيرة يقدم لنا وصفاً جميلاً ودقيقاً لجميع الأماكن التي تهم الحجاج بمكة، وبالذات الكعبة وما يتعلق بها (كرتشكوفسكي، 1961: 1: 260).

وفي رحلته نحو اجتياز الجزيرة العربية، فامتازت بالحيوية والمتعة، فقد ذهب إلى الطائف ثم سار نحو واحة الفلج (انظر التعليق رقم 25) ومن ثم إلى اليمامة (انظر التعليق رقم 26) والاحساء (انظر التعليق رقم 27) وبقي هناك أربعة أشهر في ظروف مرهقة جداً بسبب عدم امتلاكه للأموال اللازمة لإكمال رحلته، ليصل بعده إلى البصرة، التي من خلالها أخذ طريق العودة بسهولة ويسر نحو بلاده، فمر على مدن مهربان (انظر التعليق رقم 28) وأرجان (انظر التعليق رقم 29) وأصفهان (انظر التعليق رقم 30) ليصل إلى بلخ في سنة 444هـ/1052م (كرتشكوفسكي، 1961: 1: 260).

3. الوصف الجغرافي للمنطقة:

1.1 مدخل :

غالبا ما تذكر كلمة بلاد العرب أو ديار العرب أو جزيرة العرب، في كتب البلدان والجغرافية الإسلامية، لتعطي وصفا جغرافيا مكانيا لمنطقة معينة من العالم الإسلامي، تمتلك مواصفات خاصة بها، جعلت من تلك التسميات تدل عليها بوضوح (الهمذاني، 47:1884) (ياقوت الحموي، 36:2:1995). ولعل أبرز تلك الخصوصيات هي السكن فيها كان خاصا بالعرب فقط وأن اللغة السائدة فيها هي لغة العرب دون غيرها من اللغات (الهمذاني، 47:1884)، فضلا عن أهميتها الدينية وقديستها المستندة على وجود الأماكن المقدسة في مكة والمدينة (خسرو، 121:1983).

وقد حددت جغرافيا بالوصف التالي: ((وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكنها غيرهم)) (الاصطخري، 12:2004)، وتذكر النصوص الجغرافية بأن حدود بلاد العرب تبدأ: ((يحيط بها بحر فارس من عبادان (انظر التعليق رقم 31) وهي مصب نهر دجلة في البحر فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان، ثم يعطف على سواحل مهرة (انظر التعليق رقم 32) وحضر موت (انظر التعليق رقم 33) وعدن (انظر التعليق رقم 34) حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة ثم يمتد على الجارومدين (انظر التعليق رقم 35) حتى ينتهي إلى آيلة (انظر التعليق رقم 36) ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر)) (الاصطخري، 12:2004) (ابن حوقل، 9:1:1937).

ويمكن القول من خلال الوصف أعلاه بأن المقصود ببلاد العرب هي شبه جزيرة العرب بمناطقها غرب العراق، في المناطق الواقعة غرب نهر الفرات، وشرق دول الخليج العربي الحالية واليمن وغرب المملكة العربية السعودية في سواحلها الغربية على البحر الأحمر، فضلا عن الأردن وبعض مناطق البادية السورية.

2.3. وصف مدن بلاد العرب:

ولنبداً بوصف المدن التي زارها ناصر خسرو في بلاد العرب كما يأتي:

- 1- ميناء الجار(انظر التعليق رقم 37): لم يعطنا ناصر خسرو أي تفاصيل دقيقة عن هذا الميناء الحيوي ،سوى قوله: ((فَخَرَجْتَ مِنْ مِصْرَ أَوَّلَ ذِي الْقَعْدَةِ وَبَلَغْتَ الْقَلْزَمَ فِي الثَّامِنِ مِنْهُ وَمِنْ هُنَاكَ أَقْلَعْتَ السَّفِينَةَ فَبَلَّغْنَا بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مَدِينَةَ تَسْمَى الْجَارِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَقَمْنَا مِنْ هُنَاكَ فَبَلَّغْنَا مَدِينَةَ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ)) (خسرو، 1983:86).
 - 2- وادي القرى(انظر التعليق رقم 38): لم يضيف أي وصف لها سوى أنه مر بها أثناء توجهه إلى المدينة المنورة (خسرو، 1983:74).
 - 3- المدينة المنورة: أوضح ناصر خسرو أنها تبعد عن مكة مائة فرسخ(خسرو، 1983:86)، وقال عنها: ((بلد على حافة الصحراء أرضها رطبة وملحة يجري بها ماء قليل)) (خسرو، 1983:110).
 - 4- الجحفة (انظر التعليق رقم 39): جاء وصفها لدى ناصر خسرو بقوله: ((وقد أقمنا يومين بالمدينة ثم غادرناها لضيق الوقت فسرنا شرقا وعلى منزلين منها جبل ومضيق يشبه الوادي يُسمى الجحفة ،...)) (خسرو، 1983:111).
 - 5- مدينة جدة: وصفها ناصر خسرو بقوله: ((مدينة كبيرة لها سور حصين تقع على شاطئ البحر وبها خمسة آلاف رجل وهي شمال البحر الأحمر)) (خسرو، 1983:120)، وأشار إلى أنها تبعد عن مدينة صعدة في اليمن حوالي خمسين فرسخا عبر البحر(خسرو، 1983:120)، ويقع شمالها منطقة الجار وهي تابعة إلى الحجاز(خسرو، 1983:120). وتبعد عن مكة اثنا عشر فرسخا(خسرو، 1983:120). وحوالي مرحلتين (ابن حوقل، 1937:1:33)، وللمدينة بوابتان شرقية يتم التوجه من خلالها إلى مكة والبوابة الثانية غربية تؤدي إلى البحر الأحمر(خسرو، 1983:120).
- وفي الحقيقة أن وصف ناصر خسرو لمدينة جدة كان مقتضبا جدا، وسطحيا، لم يرتقي إلى أهمية هذه المدينة وأثرها الواضح على اقتصاد الحجاز تحديدا، بخلاف ما ذكره بقية الجغرافيين من أخبار عن تجارة أهلها وثرائهم، والصلات التجارية لأهلها مع مصر

والشام وبقية بلدان العالم الإسلامي (اليعقوبي، 154:1422)(السيرافي، 88:1999 (المقدس، 79:1991)

6- مكة المكرمة: وصف ناصر خسرو مكة بقوله: ((تقع مكة بين جبال عالية ولا ترى من بعيد من أي جانب يقصدها السائر وأقرب جبل منها هو جبل أبي قبيس(انظر التعليق رقم 40) وهو مستدير كالقبة لورمى سهم من أسفله لبلغ قمته وهو شرقي مكة)) (خسرو، 121:1983)، وأضاف قائلاً: ((وتشغل المدينة الوادي الذي بين الجبال والذي لا تزيد مساحته عن رمية سهمين في مثلها، والمسجد الحرام وسط هذا الوادي ومن حوله مكة والشوارع والأسواق وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوي وضعت عليه بوابة)) (خسرو، 121:1983)، وذكر أيضاً أسم أحد أبواب مكة وهو باب أبراهيم الواقع في الجانب الغربي للمدينة قرب أحد الآبار(خسرو، 122:1983)، كما ورد ذكر جبل المرأة فيها أذ توجد قربه أسواقا(خسرو، 123:1983)، ومناخ مكة حار جدا(خسرو، 124:1983).

7- برقة(انظر التعليق رقم 41): فهي ناحية تقع شمال مكة على بعد أربعة فراسخ، مساحتها فرسخان طولاً في مثلها عرضاً(خسرو، 134:1983) ويقال أنها من نواحي المدينة المنورة وجدت فيها صدقات الرسول(ص) ونفقاته منها (الحازمي، 738:1415)

8- الجعرانة: منطقة فيها ماء بين الطائف ومكة وهي أقرب إلى مكة، ومنها أحرم رسول الله(ص)، وقسم فيها غنائم يوم حنين (ياقوت الحموي، 142:2:1995)، وجاء وصفها في سفر نامه ((فيها بئران بئر الرسول وبئر علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما وماء البئرين عذب جدا)) (خسرو، 135:1983).

9- الطائف: مدينة بينها وبين مكة ستون ميلاً (الادريسي، 144:1:1405)، مر فيها ناصر خسرو في رحلته وقال عنها: ((ناحية على رأس جبل وكان الجو فيها بارداً في شهر خرداد (مايو)، حتى لزم الجلوس في الشمس،....، وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها

حصن محكم وسوق وجامع صغيران وبها ماء جار وأشجار رمان وتين كثيرة)) (خسرو، 1983:137).

10- ناحية الثريا: وصفها ناصر خسرو بأنها: ((بها نخيل كثير وتزرع أرضها بمياه الآبار والسواقي)) (خسرو، 1983:138)، وتبعد عن الطائف خمس وعشرون ميلا (خسرو، 1983:138).

11- قلعة جزع (انظر التعليق رقم 42): لم يشر صاحب الرحلة إلى الموقع الدقيق لها سوى عبارته التالية: ((على مساحة نصف فرسخ منها أربع قلاع نزلنا عند أكبرها وتسمى حصن بني نسير وهناك قليل من النخيل)) (خسرو، 1983:138).

12- فلج: وصفها ناصر خسرو بقوله: ((ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ وتقع فلج وسط الصحراء وهي ناحية كبيرة لكنها خربت بالتعصب وكان العمران حين زرتها قاصرا على نصف فرسخ في ميل عرضا وفي هذا المسافة أربع عشرة قلعة للصوم والمفسدين والجهلة،...، وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل)) (خسرو، 1983:139).

13- اليمامة: وصفت اليمامة بأنها ((حصن كبير قديم والمدينة والسوق خارج الحصن وبها مسجد جميل، بينها وبين الحسا (الاحساء) أربعون فرسخا، يعتمد سكانها على أمطار الشتاء في السقي وشرب الماء)) (خسرو، 1983:141).

14- الحسا (الاحساء): مدينة وسواد)) وبها قلعة أيضا ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بيك كل اثنين منها ما يقرب فرسخ وفي المدينة عيون ماء عظيمة تكفي كل منها لإدارة خمس أسواق ويستهلك كل هذا الماء بها فلا يخرج منها)) (خسرو، 1983:142).

15- البحرين: قال عنها ناصر خسرو: ((مدينة كبيرة أيضا بها نخل كثير ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ)) (خسرو، 1983:144).

16- عمان: ((وهي في بلاد العرب وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها وولاية عمان ثمانون فرسخا في مثلها وهي حارة الجو ويكثر بها الجوز الهندي المسى نارجيل)) (خسرو، 1983:144)

17- القطيف (انظر التعليق رقم 43): وهي مدينة كبيرة بها نحل كثير (خسرو، 1983:145)

18- بلاد اليمن، تقع جنوب مكة على مرحلة واحدة منها وتمتد حتى شاطئ البحر والحجاز واليمن متجاوران ولغتهما العربية وفي الاصطلاح يقال لليمن حمير وللحجاز العرب (خسرو، 1983:124)، وكانت على ثلاث أقسام قسم منها يُسمى تهامة (انظر التعليق رقم 44) وهو يمتد على ساحل القلزم الذي هو غربي تهامة وبه كثير من المدن الخصبة مثل صعدة (انظر التعليق رقم 45) وزبيد (انظر التعليق رقم 46) وصنعاء (انظر التعليق رقم 47) وغيرها، وهذه المدن مشيدة في الصحراء، والقسم الثاني من حمير جبلي يسمى نجد، وبه أماكن مقفرة وأخرى شديدة البرد كما أن به أودية ضيقة وقلاعاً محكمة والقسم الثالث ناحية المشرق وبه مدن كثيرة منها نجران (انظر التعليق رقم 48) وعثر (انظر التعليق رقم 49) وبيشة (انظر التعليق رقم 50) (وغيره) (خسرو، 1983:125).

4: الأوضاع السياسية في بلاد العرب:

أعطى ناصر خسرو وصفا مروعاً لحالة المنطقة أثناء زيارته لها في القرن الخامس الهجري، خاصة أنه بقي في تلك المنطقة ستة أشهر (خسرو، 1983:121)، وشاهد بنفسه مختلف الصراعات السياسية ذات الأنظمة المتنوعة بحسب مناطق المدن والأعراب، فهي كانت تمر بحالة الفوضى خاصة في مناطق الصحراء والأرياف شرق شبه جزيرة العرب، والتي نتج عنها انتشار اللصوصية والفساد الديني والقتل وانعدام الأمن والاستقرار السياسي، الذي منع من ظهور دولة واحدة قوية تفرض فيها القانون وحماية الإنسان من ظلم القائمين عليهم بسبب الفقر وانعدام وسائل العيش الكريم (خسرو، 1983:145).

فقد ذكر أن حاكم مكة والمدينة وما حولهما من المدن والقرى هو تاج المعالي بن أبي الفتوح (انظر التعليق رقم 51) (خسرو، 120:1983)، ومن ضمنها مدينة جدة الساحلية، وكان يفرض ضريبة المكوس على التجار والوافدين إليها من بقية الأقطار الإسلامية (خسرو، 120:1983)، وقد سكن هذا الأمير بجيشه الخاص في منطقة الثريا الواقع شمال مكة بعيدا عن صخب المدينة وسط أجواء المنطقة الهادئة ووفرة المياه والزراعة فيها (خسرو، 138:1983).

وكان تابعا لحكام مصر الفاطميين، الذين كانوا مسؤولين عن النفقات المالية لهاتين المدينتين المقدستين فقد ذكر ناصر خسرو: ((ولكن السلطان لم يقصر البتة في إرسال ما كان يرسله كل سنة من الكسوة وأجور الخدم والحاشية وأمراء مكة والمدينة وصلة أمير مكة وقد كانت ثلاثة آلاف دينار في الشهر وكانت ترسل إليه الخيول والخلع مرتين في السنة)) (خسرو، 112:1983).

وعلى ما يبدو فإن البنية المعمارية لمكة قد تأثرت بتدهور الأوضاع السياسية فيها، الأمر الذي يمكننا أن نفهمه من قول ناصر خسرو: ((وقد كان لأهل كل مدينة من خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها منازل بمكة ولكن أغلبها كان خرابا وقتذاك وقد بنى خلفاء بغداد عمارات كثيرة وأبنية جميلة وكان بعضها وأنا هناك خرابا والبعض الآخر أشتراه الناس (أصبح ملكا خاصا)) (خسرو، 123:1983).

وذكر أن بني شعبة بقوا محتفظين بمفتاح الكعبة، ذلك التقليد الذي توارثوه منذ أيام ما قبل الإسلام، وكان كبيرهم عندما يقوم بحمل المفتاح يحرسه ستة أشخاص ومن ثم يحيط به عشرات الحجاج (خسرو، 134:1983)، مما يشير إلى احترام الناس للمعتقدات الدينية المتوارثة وعدم تأثرها بالأوضاع السياسية السائدة آنذاك في مكة.

ويذكر ناصر خسرو أن بعض الناس في منطقة الثريا كانت مهتهم السرقة، بسبب عدم وجود حاكم لها ((وليس لهذه الناحية حاكم أو سلطان فإن على كل جهة رئيسا أو سيدا مستقلا، ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم في حرب دائم بعضهم مع بعض))

(خسرو، 1983:138)، ولعل السبب يعود إلى ضعف حكام المنطقة وانعدام وسائل العيش الكريم ومشاق العمل دفعت هؤلاء الممارسة هذه الأعمال غير الأخلاقية والمنافية للتعاليم الإسلامية السمحاء.

ويذكر أن منطقة قلعة جزع، كان الدخول إليها ممنوع بدون وجود الخفير (انظر التعليق رقم 52)، يتكفل مرور القوافل عبر أراضي هذه القلعة، ((ولبثنا هناك خمسة عشر يوما أذ لم يكن معنا خفير يهديننا الطريق ولكل قوم من عرب هذا المكان أرض محددة ترعى بها ماشيتهم ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها فهم يمسون كل من يدخل بغير خفير ويجردونه مما معه فيلزم استصحاب خفير من كل جماعة حتى يتيسر المرور من أرضهم فهو وقاية للمسافر ويسمونه أيضا مرشد الطريق)) (خسرو، 1983:138)، ويتولى حكم الأعراب الذين كانوا يتحكمون في المنطقة سياسيا واقتصاديا رجل أسمه أبو غانم عيسى بن البعير (انظر التعليق رقم 53)، ((وقد أتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا وهو بنو سواد (انظر التعليق رقم 54) وأسمه أبو غانم عيسى بن البعير فاتخذناه خفيرا وذهبنا معه وقابلنا قومه فظنوا أنهم لقوا صيدا أن كل أجنبي يجدونه يسمى صيدا فلما رأوا رئيسهم أسقط في أيديهم ولو ذلك لأهلكونا)) (خسرو، 1983:138)، ويصور لنا صاحب الرحلة الموقف بقوله ((لبثنا معهم زمنا أذ لم يكن معنا خفير يصحبنا ثم أخذنا خفيرين أجر كل منهما عشرة دنانير ليسيرا بنا بين قوم آخرين)) (خسرو، 1983:139)

ولما دخل ناصر خسرو منطقة فلج، وصف وضعها السياسي بقوله: ((وهي ناحية كبيرة ولكنها خربت بالتعصب وكان العمران حين زرتها قاصرا على نصف فرسخ في ميل عرضا)) (خسرو، 1983:139)، ويشير بوضوح إلى انعدام الأمن وشيوع الفوضى وعمد وجود سلطة قوية تحفظ حياة الناس ومعاشهم في هذه المنطقة، فقد قال عنها: ((وفي هذا المسافة أربع عشرة قلعة للصوم والمفسدين والجهلة وهي مقسمة بين فريقين بينهما خصومة وعداوة دائمة..)) (خسرو، 1983:140)، ويضيف أن حال الناس يسودها الفقر

والبؤس)) ومع فقرهم فانهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء)) (خسرو، 1983:140)، ونتيجة لفقدان الأمن في فلج، كان السكان تسود بينهم الأمية ولم يكن للكتاب أي أهمية لديهم)) الناس في ناحية فلج جياع وعراة وجهلاء ويلتزمون حمل الترس والسيف أذ ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب...)) (خسرو، 1983:140).

أما الإمامة فقد حكمها العلويون الذين وصفهم ناصر خسرو بالبأس وشدة الشوكة ولهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس)) وأمرؤها علويون منذ القدم هؤلاء العلويون ذو شوكة فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس ومذهبهم الزيدية، هو يقولون في الاقامة محمد وعلي خير البشر وحي على خير العمل وقيل أن سكان هذه المدينة شريفية (خاضعون للأشراف)) (خسرو، 1983:142).

وفي الاحساء تلك البلاد الواسعة الكبيرة، بعاصمتها التي وصفها ناصر خسرو بقوله: ((مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة وفيها أكثر من عشرين ألف محارب)) (خسرو، 1983:142)، ويتحدث عن وجود القرامطة (انظر تعليق رقم 55) في الاحساء وهم كانوا يحكمون المنطقة وينسبون إلى أبي سعيد (انظر تعليق رقم 56)، ((وقيل أن سلطانهم كان شريفا وقد ردهم عن الإسلام وقال أني عفيتكم من الصلاة والصوم ودعاهم إلى أن مرجعهم لا يكون إلا إليه وأسمه أبو سعيد وحين يسألون عن مذهبهم يقولون أنا أبو سعيدون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته)) (خسرو، 1983:142).

وعن نمط الحكم في الاحساء أشار ناصر خسرو إلى أن حكامها كانوا يسكنون في قصر منيف فقد ذكر: ((حكام الحسا يسكنون قصر منيف هو دار ملكهم وبه تخت يجلسون هم ستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون ولهم ستة وزراء على تخت آخر ويتداولون في كل أمر وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي حبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين)) (خسرو، 1983:143).

ويقوم النظام السياسي في الاحساء على تدخل حكامها في حل الإشكالات بين الناس مهما كانت صغيرة وبسيطة بهدف مساعدتهم فقد ذكر ذلك ناصر خسرو بقوله: ((وهم لا يأخذون عشورا من الرعية وإذا افتقر أنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله وإذا كان لاحدهم دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكيّفه من المأل حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد (إلى الحكام) ما أخذ حين يشاء وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة على الإصلاح أمروا جماعه من عبيدهم بأن يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ولا يطلبون من المالك شيئا وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ويسمى وزراؤهم الشائرة)) (خسرو، 1983:143).

وأشار أيضا إلى حسن تعامل حكام المنطقة من القرامطة مع رعيّتهم وذكر طرفا من الأمور الشنيعة التي فعلوها مع الحجاج وانتزاع الحجر الأسود من الكعبة ونقله إلى الحسا قال: ((وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش إلى مكة أيام خلفاء بغداد فاستولى عليها وقتل من كان يطوف بالكعبة وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلى الحسا وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ولم يفقهوا أن شرف محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وجلاله هما اللذان يجذبان الناس فقد لبث الحجر الأسود في الحسا سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد وأخيرا اشتري منهم الحجر الأسود وأعيد إلى مكانه)) (خسرو، 1983:144).

وقد حاول حكام القطيف السيطرة على بلاد الاحساء لأهميتها السياسية والاقتصادية، وفشل في مسعاهم، وقد ذكر ذلك ناصر خسرو بقوله: ((وقد ذهب أمير عربي إلى أبواب الحسا ورابط هناك سنة واستولى على سور من أسوارها الأربعة وشن عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئا وقد سألتني حين رأني عمّا تنبئ به النجوم

قَالَ أَرِيدُ أَنْ أُسْتَوْلِيَ عَلَى الْحِصَا فَهَلْ أُسْتَطِيعُ أَمْ لَا فَأَنْ أَهْلَهَا قَوْمٌ لَا دِينَ لَهُمْ فَأُجِيبْتُهُ بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ لَهُ)) (خسرو، 145:1983).

أما بلاد اليمن فلم يختلف وضعها عن بقية أجزاء شبه جزيرة العرب، فهي مقسمة إلى دويلات ومدن يحكمها حكام مستقلون فقد حكم تهامة ملك عبد حبشي لأحد أبناء شاددل (انظر التعليق رقم 57) (خسرو، 125:1983).

فضلا عن مدن نجران وبيشة وغيرها فقد وصفت (طوائف كثيرة لكل منها ملك أو رئيس فليس له حاكم واحد فَإِنْ سَكَانُهُ عَتَاةٌ وَأَغْلِيهِمْ لَصُوصٌ وَسَفَاكُو دِمَاءٍ وَهُمْ كَثِيرُونَ وَمَنْ كُلِّ جَنْسٍ)) (خسرو، 125:1983).

5. الأوضاع الاقتصادية في بلاد العرب:

أن بلاد العرب بسعتها الكبيرة، واختلاف مناخها الجغرافي وتنوعه جعل منها منطقة متعددة النشاط الاقتصادي الذي يتخلف من منطقة إلى أخرى بحسب موقعها الجغرافي ووفرة المياه (جواد، 2001:33) (برو، 2001:56) وقد تطرق ناصر خسرو في رحلته إلى هذه البلاد إلى الأوضاع الاقتصادية في المناطق التي وقعت على مسار رحلته، وهي كما يلي:

1.5: الزراعة:

وجدت مناطق في بلاد العرب عرفت بإنتاجها الزراعي، فقد ورد ذكر المياه الجارية والأشجار المثمرة فيها (خسرو، 138:1983)، وبقدر توفرها فأُن الزراعة تكون متوفرة، ففي الجعرانة توجد بساتين تسقى من آبار موجودة في تلك المنطقة (خسرو، 135:1983) وفي المدينة المنورة يكثر إنتاج التمور بفضل وجود أشجار النخيل المثمرة الكثيرة (خسرو، 110:1983)، وجاء أنه وجد مرجا أخضر بعد سبعة فراسخ من مكة، عنده جبل ((ولما بلغناه وجدنا سهلا وقرى وبئرا أسماها بئر الحسين بن سلامة (انظر التعليق رقم 58) وكان الجو باردا)) (خسرو، 137:1983).

ولعل مدينة الطائف كانت خير مثال على وجود الإنتاج الزراعي الوفير فيها، ((وبها ماء جار وأشجار رمان وتين كثيرة)) (خسرو، 137:1983).

وفي ناحية الثريا توفر إنتاج التمور بوجود أشجار النخيل فيها بكثافة وتزرع أراضيها بمياه الآبار والسواقي(خسرو،1983:138)، وهناك مناطق في قلعة الجملة ترى فيها الحيوانات وتكون عادة محمية من قبل أهلها ويمنع أي أحد من العبور فيها إلا بوجود كفيل أو ضامن، وكان سكان هذه المنطقة يعيشون على لبن الابل طوال حياتهم((أذ ليس في هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال)) (خسرو،1983:139).

ويصف ناصر خسرو قسوة الحياة الاقتصادية في هذه المنطقة بقوله: ((فكان زملاؤنا في الطريق كلما رأوا ضبا قتلوه وأكلوه وكانوا يحلبون لبن الجمال حيث وجد الأعراب ولم أكن أستطيع أكل الضب أو شرب لبن الجمال وفي كل جهة في الطريق بها شجر به ثمر في حجم حبة السلّة كنت أقنع بإكل حبات منها)) (خسرو،1983:139).

وفي منطقة الفلج أشار ناصر خسرو إلى وجود إنتاج زراعي متميز معتمد على وجود قنوات مائية منتظمة تقوم بإيصال المياه إلى مناطق الزراعة في أرجاء المنطقة، فقال: ((وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك وزراعتهم قليلة واجر الرجل في اليوم عشرة سيرات من غلّة يخبزها أرغفة ولا ياكلون إلا قليلا من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية كما في رمضان ويأكلون التمر أثناء النهار وقد رأيت هناك تمرا طيبا جدا أحسن مما في البصرة وغيرها)) (خسرو،1983:140)، وهناك تمر فيها يسمى ميدون ((تزن الواحدة منها عشرة دراهم ولا يزيدون وزن النوى به عن دانق (انظر التعليق رقم 59) ونصف ويقال انه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة)) (خسرو،1983:140)، ويذكر ناصر خسرو أن أهل فلج كانوا يتعرضون بين فترة وأخرى إلى هجمات الأعراب للحصول على التمور عن طريق السرقة، وأنهم كانوا يدافعون عن إنتاجهم للتمور إلى درجة أنهم فقدوا الف نخلة من نخليهم في إحدى الغارات، ولم يسمحوا لهؤلاء أن يأخذوا تمرهم (خسرو،1983:140)، ومع ذلك فإن السكان كما يصفهم الرحالة خسرو فقراء وجهلاء

وبؤساء وجياح وعراة، مما يدل على عدم قدرة إنتاج التمر على سد حاجتهم للغذاء (خسرو، 1983:141).

وينتشر إنتاج التمر وزراعة النخيل في اليمامة فقد وصفت ((باليمامة مياه جارية في القنوات وفيها نخيل وقيل أنه حين يكثر التمريباع الالف من منه (انظر التعليق رقم 60بدينار)) (خسرو، 1983:142)، فضلا عن ذلك فإن الزراعة ورعاية البساتين كانت منتشرة في منطقة الحسا عن طريق توفر العبيد الاحباش الذي قدر عددهم بثلاثين الف زنجي (خسرو، 1983:143)، فقد ورد ((في الحسا تمر كثير حتى انهم كانوا يسمنون به المواشي ويأتي وقت يباع فيه أكثر من الف من بدينار واحد)) (خسرو، 1983:144)، وكما تتوفر الحيوانات في الحسا فقد ورد أنها: ((في الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها وتوضع رأس الحيوان وجلده يقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلق الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبونها ويبيعون لحمها)) (خسرو، 1983:144).

وفي البحرين يوجد أشجار النخيل (خسرو، 1983:144) وفي عمان يكثر الجوز الهندي (خسرو، 1983:144)، كما أن مدينة القطيف يكثر فيها إنتاج العسل بفضل وجود أعداد كبيرة من النحل (خسرو، 1983:145).

2.5: التجارة والأسواق والحرف:

تعد التجارة إحدى أهم مجالات الاقتصاد في بلاد العرب منذ أقدم العصور التاريخية بفضل موقعها الاستراتيجي بين الشرق والغرب، ولم ينس ناصر خسرو أن يذكر مجموعة من الأنشطة التجارية في المنطقة أثناء زيارته لها في القرن الخامس الهجري، فعندما وصل إلى جدة أكد أنها لا توجد فيها شجرولا زرع، وأن حاجات الناس الأساسية يجلب إليها من القرى عن طريق التجارة ((وفيها أسواق جميلة)) (خسرو، 1983:120).

وأن موقع المدينة الواقعة على ساحل البحر وامتداده التجاري مع اليمن ومصر جعلها مدينة تجارية هامة إلى درجة أن حكامها كانوا يفرضون المكس على البضائع التجارية القادمة إليها لأجل زيادة الموارد المالية لديهم (خسرو، 1983:121).

وتنتشر الأسواق في مكة حيث يذكر ناصر خسرو: ((من جبل المرأة يجد سوقا فيها عشرون دكانا متقابلة يشغلها جميعا حجامون لحلق شعر الرأس)) (خسرو، 1983:123)، وعند خروج الحاج من المسجد الحرام يدخل في السوق الكبير للمدينة التي (تقع ناحية الشرق والمسماة سوق العطارين وهي سوق جميلة البنايات وكلها عطارون)) (خسرو، 1983:123)، ناهيك عن وجود الأحواض الكبير والمصانع الكبيرة لخزن المياه للاستفادة منها اقتصاديا وفي سقي الحجيج والتي كانت تملأ من ماء الأمطار المتدفق من الأودية (خسرو، 1983:123)، وظهرت مهنة السقا التي يقوم أصحابها ببيع الماء للناس في مكة من خارجها فقد قال عنها ناصر خسرو: ((وقد أنشأ أبن أحد أمراء عدن مجرى للماء تحت الأرض وأنفق عليه أموالا كثيرة يسقى منه ما على حافته من شجر في عرفات وقد حبس هذا الماء هناك حيث غرست الحدائق فلا يصل قرب مكة منه إلا القليل لأن القناة لا تبلغها وهذا القليل يجمع في حوض خارج مكة فيأخذ منه السقاءون ويذهبون به إليها ويبيعونه)) (خسرو، 1983:123) وجاء أيضا في رواية أخرى: ((وعلى مسافة نصف فرسخ من طريق برقة بئر يسمى بئر الزاهد عنده مسجد جميل وماء هذا البئر عذب ويحمله السقاءون إلى مكة لبيعه)) (خسرو، 1983:124)، وكان أمير مكة يتاجر مع مصر بمختلف البضائع والحيوانات فقد ورد أنه كان يستورد الجمال من مصر وهي تستخدم في نقل الحجاج والتجارة في الصحراء (خسرو، 1983:123).

ويذكر ناصر خسرو أن أهل الفلج كانوا يقايضون بالتمر مقابل أي عمل يرغبون بالحصول عليه أو شراء حاجة معينة، فقد قال: ((كان هناك مسجدا نزلنا فيه وكان معي قليل من اللونين القرمزي واللازورد فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ووضع في وسطه ورق الشجر فأراه وتعجبوا وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه وقالوا لي إذا

تنقش محراب هذا المسجد نعطيك مائة من تَمرا ومائة من تَمرا عندهم شيء كثير.....،
وقد نقشت المحراب كما أتفقوا معي وكان لنا في المائة من من التمرعون كبير إذ لم يكن
ميسورا أن نجد غذاء وَلَمْ يكن لدينا أَمَل في الحياة)) (خسرو، 1983:140).

وأشار إلى أن بيع الجمال وشراؤها كانت واسعة الانتشار في منطقة الفلج ، وكان
سعر الجمل الواحد بدينارين أو ثلاثة، وكانت تلك الجمل يتم تأجيرها للنقل في الصحراء
مقابل دينار واحد لكل مائتي فرسخ، وقد أٌتفق مع أحد الأعراب على نقله إلى البصرة
مقابل ثلاثين دينارا ((فَقَالَ الأعرابي أحملك إلى البصرة على أن تأجرني ثلاثين دينارا
فَقبلت مضطرا وَلَمْ أَكن قد رأيت البصرة قطَّ فَوضع هؤلاء الأعراب كتبتي على جمل
أركبوا عليه أخي وسرت أنا راجلا وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأكبر) كان
الطريق مستويا لَا جبال فِيهِ وَلَا مرتفعات وكان ماء المطر متجمعا حيثما كانت الأرض أشد
صلابة وَمَضَتْ لَيَالٍ وَأَيَّامٌ وَلَمْ يبد في أي جهة أثر الطريق إِلَّا أَنهم كانوا يسيرون بالغريزة
(بِالسَّمْع) وَمِن العجيب أَنهم كَانُوا يبلغون فجأة بئر ماء مَعَ عدم وجود أي علامة))
(خسرو، 1983:141).

وفي اليمامة تكثر تجارة التمر التي كانت تباع الالف من المن بدينار عندما يكون
وفيرا، وفي الاحساء وردت أن فيها خمس أسواق كبيرة جدا، وأن عمليات البيع والشراء
تتم بعملة الرصاص فقط عن طريق الوزن (خسرو، 1983:143)، وينتجون الفوط (انظر
التعليق رقم 61) الجميلة ويصدرونها إلى البصرة (خسرو، 1983:143)، ويتم استخراج
اللؤلؤ من البحرين ويعطى لسلطين الاحساء نصف ما أستخرجه الغواصون
(خسرو، 1983:144).

أما اليمن فقد ذكر ناصر خسرو ، أن سكان صنعاء كانوا يصنعون ((العقيق وهو
حجارة تقطع من الجبل وتسوى على النَّار في بواتق محاطة بالرمل ثمَّ تعرض هَكَذَا وسط
الرمل لحرارة الشمس وَبعد هذا يصفقونها بعجلة)) (خسرو، 1983:126).

6.الأوضاع الدينية:

وصف ناصر خسرو مجمل الفعاليات الدينية والشعائر الإسلامية التي شاهدها في بلاد العرب في القرن الخامس الهجري، وامتازت أديان المنطقة بتنوعها واختلافها بحسب المكان واعتقادات الناس فيها، يمكن أن نخلص ذلك بما يلي:

1.6: وصف الأماكن المقدسة:

1.1.6: المسجد النبوي الشريف:

جاء في وصف من قبل ناصر خسرو بقوله: ((مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قدر المسجد الحرام ومقامه عليه الصلاة والسلام بجانب المنبر يسار المصلين وهو متوجهون ناحية القبلة فحين يذكر الخطيب وَهُوَ فَوْقَ الْمَنْبَرِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ يَلْتَفَتُ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ وَيُشِيرُ إِلَى الْمَقَامِ الشَّرِيفِ وَهَذَا الْمَقَامُ مَخْمَسٌ تَرْتَفَعُ حَوَائِطُهُ مِنْ بَيْنِ أَعْمَدَةِ الْمَسْجِدِ وَيَحِيطُ بِهِ خَمْسَةُ أَعْمَدَةٍ وَكَانَ فِي آخِرِهِ حَظِيرَةٌ أَحِيطَتْ بِسِيَاجٍ حَتَّى لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ وَأَسْدَلُ عَلَى الْجُزْءِ الْمَكْشُوفِ مِنْهَا شَبَكَةٌ حَتَّى لَا تَدْخُلَهَا الطَّيُورُ وَبَيْنَ قَبْرِ الرَّسُولِ وَالْمَنْبَرِ مَسَافَةٌ مِنَ الرِّخَامِ تُشَبِّهُ السَّاحَةَ وَتُسَمَّى الرُّوضَةَ وَيُقَالُ إِنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ (ابن أبي شيبة، 1989:6:305)(ابن حنبل، 2001:15:11)، (خسرو، 1983:111).

2.1.6: المسجد الحرام:

أعطى ناصر خسرو وصفا دقيقا جدا للمسجد الحرام في مكة، مسترسلا في أيراد بعض الأخبار عنه لما له من أهمية وقُدسية في نفوس المسلمين، وأشار إلى أن الكعبة تقع في وسط المسجد الحرام، الذي بدوره يقع في وسط مكة، وهو يمتد طولا من الشرق إلى الغرب وعرضا من الشمال إلى الغرب، وأسوار المسجد لم تكن عمودية بل كانت مقوسة لأجل تمكين المسلمين من رؤية الكعبة المشرفة من كل الجهات (خسرو، 1983:126).

ويبلغ أقصى طول للمسجد الحرام من باب إبراهيم إلى باب بني هاشم 424 ذراعا (انظر التعليق رقم 62) وعرضه من باب الندوة من جهة الشمال حتى باب الصفا وهو في

جهة الجنوب اقصى أتساع 304 ذراعا، وبسبب استدارة المسجد الحرام يخيل للناظر أن ساحة المسجد تكون ضيقة في جهة وواسعة في جهة أخرى(خسرو،1983:126)

ويحيط بالمسجد ثلاث أروقة رفعت سقوفها بأعمدة من الرخام، وفي وسط تلك الأروقة على شكل مربع وعلى طول السقف من ناحية المسجد خمسة وأربعون طاقا (انظر التعليق رقم 63)، وعلى عرضه ثلاث وعشرون، ويبلغ عدد الأعمدة الرخامية التي في المسجد 484 عمودا (خسرو،1983:126).

ويشير ناصر خسرو إلى رواية غير موثقة من قبله أن الخلفاء العباسيون هم من ((قيل أنها كلها أرسلت من الشام عن طريق البحر بأمر خلفاء بغداد وقيل أنه حين بلغت هذه العمدة مكة بلغ ثمن الجبال التي شدت بها إلى السفن والعجلات والتي قطعت قطعاً ستين ألف دينار مغربي ومن هذه العمدة عمود من الرخام الأحمر وضع عند باب الندوة قيل إنه اشترى بوزنه ذهباً ويقدر وزنه بثلاثة آلاف من)) (خسرو،1983:126)

وللمسجد الحرام ثمانية عشر باباً، عليها طيقان مقامة على أعمدة من الرخام وضعت بحيث لا تعوق فتح الأبواب، وعلى الجانب الشرقي أربعة أبواب وهي في الركن الشمالي، فيه باب النبي وبه ثلاث طيقان مقفلة، وعلى هذا الجانب نفسه عند الطرف الجنوبي (للباب الأول) باب آخر يسمى باب النبي أيضاً وبين هذين البابين أكثر من مائة ذراع ولهذا الباب طاقان وفي خارجه سوق العطارين وقد كان منزل النبي عليه السلام في هذه السوق وكان يدخل من هذا الباب للصلاة في المسجد فإذا جاوز السائر هذا الباب وجد على السور الشرقي أيضاً باب علي عليه السلام وهو الباب الذي كان يدخل منه أمير المؤمنين علي عليه السلام للصلاة بالمسجد وله ثلاثة طيقان فإذا جاوزه يجد عند ركن المسجد منارة أخرى يبدأ منها السعي وهي غير المنارة التي بباب بني هاشم ومن عندها ينبغي الإسراع في السعي وهي إحدى المنارات الأربع المذكورة (المنارات الأربع في طرق السعي) (خسرو،1983:127)

وفي الحائط الجنوبي للمسجد الحرام، الذي هو طول المسجد سبعة أبواب أولها على الركن المقوس، واسمه باب الدقاقين (انظر التعليق رقم 64)، وله طاقان وفي غربيه بقليل باب أخر ذو طاقين يقال له باب الفسانين (انظر التعليق رقم 65)، وبعده بقليل باب الصفا، وله خمسة طيقان، أكبرها الطاق الأوسط وعلى كل جانبيه طاقان صغيران، وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، يخرج من هذا الباب، ويذهب إلى الصفا، وعتبة الطاق الأوسط، مكونة من حجر أبيض كبير وكان بها حجر أسود وطئه الرسول عليه السلام بقدمه فارتسم نقش القدم المبارك عليه وقد نزع هذا الجزء من الحجر الأسود وركب في الحجر الأبيض بحيث تكون أطراف أصابع القدم داخل المسجد ويضع بعض الحجاج وجوههم على هذا الحجر وبعضهم يضعون أقدامهم تبركا وأعرف أن الأفضل أن أضع وجهي وبعده هذا الباب بقليل ناحية المغرب باب السطوى (انظر التعليق رقم 66) وله طاقان ثم من بعده بقليل باب التمارين (انظر التعليق رقم 67) وله طاقان ثم باب المعامل وله طاقان ويقابله بيت أبي جهل (خسرو، 128:1983) وعلى الحائط الغربي من المسجد الحرام وهي عرض المسجد ثلاثة أبواب الأول عند الركن الجنوبي واسمه باب عروة وله طاقان وفي الأوسط باب إبراهيم وله ثلاثة طيقان (خسرو، 128:1983).

وعلى الحائط الشمالي من المسجد الحرام وهي طول المسجد أربعة أبواب ففي الركن الغربي باب الوسيط، وله طاق واحد، ومن بعده ناحية المشرق باب العجلة (انظر التعليق رقم 68) وله طاق واحد ومن بعده في الوسط باب الندوة وله طاقان ثم باب المشاورة (انظر التعليق رقم 69) وله طاق واحد وعند زاوية المسجد في الشمال الشرقي باب يُسمى باب بني شيبه (خسرو، 128:1983).

3.1.6: وصف الكعبة المشرفة:

تقع الكعبة في وسط ساحة المسجد الحرام، وهي مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب، ثلاثون ذراعا وعرضه من الشرق إلى الغرب ست عشرة ذراعا، وبابها شرقي بحيث يكون الركن العراقي، على يمين الداخل وركن الحجر الأسود على يساره، ويسمى

ركنهما الجنوب الغربي بالركن اليماني وركنهما الشمالي الغربي بالركن الشامي وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مركب على زاوية الْحَائِطِ فِي حَجَرٍ كَبِيرٍ بَحِثْ إِذَا وَقَفَ رَجُلٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ يَكُونُ مُقَابِلًا لَصَدْرِهِ وَطَوَّلَ هَذَا الْحَجَرُ شِبْرَ أَرْبَعَةٍ أَصَابِعٍ وَعَرْضُهُ ثَمَانِيَةَ أَصَابِعٍ وَهُوَ مُسْتَدِيرُ الشَّكْلِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَابِ الْكُعْبَةِ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ وَيُسَمَّى مَا بَيْنَهُمَا الْمُتَلَتِّزِمَ وَيَرْتَفِعُ بَابُ الْكُعْبَةِ عَنِ الْأَرْضِ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ بَحِثْ إِذَا وَقَفَ رَجُلٌ مَدِيدُ الْقَامَةِ عَلَى الْأَرْضِ يَصِلُ إِلَى عَتَبَتِهِ وَقَدْ صَنَعَ سَلَمٌ مِنَ الْخَشَبِ يَضَعُونَهُ وَقْتَ الْحَاجَةِ أَمَامَ الْبَابِ فَيَصْعَدُ عَلَيْهِ النَّاسُ وَيَدْخُلُونَ الْكُعْبَةَ وَيَسْعُ عَرْضَ هَذَا السَّلَمِ عَشْرَةُ رِجَالٍ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ بَعْضُهُمْ بِجَانِبِ بَعْضٍ وَأَرْضُ الْكُعْبَةِ عَالِيَةٌ بِهَذَا الْمَقْدَارِ (خسرو، 129:1983).

أما باب الكعبة فقد وصف ((وهو باب من خشب الساج لَهُ مَصْرَاعَانِ ارْتِفَاعُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ، ذِرَاعٌ وَعَرْضُ كُلِّ مَصْرَاعِيهِ ذِرَاعٌ وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الذِرَاعِ فَعَرْضُهُمَا مَعًا ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ وَعَلَى صَدْرِ الْبَابِ وَأَعْلَاهُ كِتَابَةٌ كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ دَوَائِرَ زَخْرَفِيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَكِتَابَاتٍ مَنْقُوشَةٌ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَدْ كَتَبَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ حَتَّى آخِرُهَا {إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيَكَةِ مُبَارَكًا وَهَدَى لِلْعَالَمِينَ} (آل عمران: 96) وَلَهُ حَلَقَتَانِ كَبِيرَتَانِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَقَدْ رَكَبْتَا فِي مَصْرَاعِيهِ بِحَيْثُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمَا يَدُ أَنْسَانٍ وَمِنْ تَحْتِهَا حَلَقَتَانِ أُخْرَيَانِ مِنَ الْفِضَّةِ أَصْغَرَ حَجْمًا وَمَوْضُوعَتَانِ بِحَيْثُ تَصِلُ إِلَيْهِمَا وَفِيهِمَا قِفْلٌ كَبِيرٌ مِنَ الْفِضَّةِ أَيْضًا يَقْفَلُ بِهِ الْبَابُ وَلَا يَفْتَحُ مَا لَمْ يَنْزِعِ الْقِفْلُ)) (خسرو، 131:1983).

أما في داخل الكعبة فقد وصفها ناصر خسرو وصفا دقيقا، قائلا: ((يبلغ سمك حائطها ستة أشبار وأرضها مغطاة بالرخام الأبيض وبالكعبة ثلاث خلوات صغيرة كأنها دكاكين إحداهما تقابل الباب والأخريان على الجانب الشمالي والأعمدة التي بالكعبة والتي أقيم عليهما السقف كلها من خشب الساج المربع إلا عمودا واحدا مدورا وفي الجانب الشمالي قطعة مستطيلة من الرخام الأحمر يُقَالُ إِنَّ الرُّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَصِلِي عَلَىهَا وَيَجْتَهِدُ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ أَنْ يَصِلِي هُنَاكَ وَقَدْ غَطَّيْتُ حَوَائِطَ الْكُعْبَةِ بِالْأَوْحِ الرِّخَامِ الْمَلُونِ وَعَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا سِتَّةُ مُحَارِيبٍ مِنَ الْفِضَّةِ أُلْصَقَتْ بِالْحَائِطِ

بمسامير ويبلغ ارتفاع كل منها قامة الرجل وهي مزينة بنقوش كثيرة من الذهب والفضة وهي مرتفعة عن الأرض وحوائط الكعبة الأربعة حتى أربعة أذرع من الأرض خالية من النقوش وأما بعد ذلك إلى السقف فمزينة بالرخام المنقوش والموشى (انظر التعليق رقم 70) أغلبه بالذهب وفوق كل من الخلوات الثلاث التي ذكرتها والتي توجد إحداها في الركن العراقي والأخرى في الركن الشامي والثالثة في الركن اليماني فوق كل ركن منها لوحان من الخشب مثبتان على الحائط بمسامير من فضة وهي ألواح من خشب سفينة نوح عليه السلام طول كل منها خمس أذرع وعرضه ذراع واحد (خسرو، 1983:131).

وقد أسدل على الخلوة التي خلف الحجر الأسود ستار من الديباج الأحمر وحين يدخل السائر في الكعبة يجد على اليد اليمنى زاوية مربعة بمقدار ثلاث أذرع في مثلها وهناك سلم يؤدي إلى سطح الكعبة عليه باب من الفضة له مصراع واحد يسمى باب الرحمة وعليه قفل من الفضة فإذا صار فوق سطح الكعبة يجد بابا آخر مثل الباب السابق منقوش بالفضة على وجهيه وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحبر الذي يحجبه عن الأنظار وعلى حائط الكعبة الأمامي فوق العمدة الخشبية كتابة ذهبية فيها اسم العزيز بالله سلطان مصر الذي استولى على مكة من الخلفاء العباسيين وعلى الحائط أربعة ألواح أخرى كبيرة من الفضة متقابلة ومثبتة بمسامير من فضة وعلى كل لوح منها اسم السلطان الذي أرسله من سلاطين مصر وكان كل منهم يرسل لوحا في عهده، وبين الأعمدة ثلاثة قناديل فضية معلقة وبلاط سطح الكعبة من الرخام اليماني الذي يلمع كأنه البلور وفي أركانها أربع روازن على كل منها لوح من الزجاج لينفذ منه النور ولنع تسرب المطر والميزاب في وسط الحائط الشمالي وطوله ثلاث أذرع وكله مطلي بالذهب (خسرو، 1983:131).

والكسوة التي تغطي بها الكعبة بيضاء وقد طرزت في موضعين عرض كل منها ذراع وبينهما عشر أذرع تقريبا ومن فوقهما وتحتهما عشر أذرع أيضا بحيث ينقسم ارتفاع الكعبة إلى ثلاثة أقسام أقسام كل منها عشر أذرع بواسطة طرازي الكسوة وعلى جوانب هذه

الْكُسْوَةُ الْأَزْبَعَةُ نسجت محاريب ملونة مزينة بخيوط من ذهب وعلى كل نَاحِيَةٍ ثَلَاثَةُ محاريب محراب كَبِيرٍ فِي الْوَسْطِ ومحرابان صغيران على جانبيه فعلى النواحي الْأَزْبَعَةُ اثْنَا عَشَرَ محراباً (خسرو، 1983: 132).

وخارج الكعبة حائط علوه ذراع وَنِصْفُ وتصل نهايته بركني الكعبة لِأَنَّ هذا الحائط مقوس كَنِصْفِ الدائرة وَهُوَ يَبْعَدُ من منتصفه عَن الكعبة مَقْدَارُ خمس عشرة ذراعاً وَأَرْضُ هَذَا الْمَوْضِعِ مبلطة بالرخام الملون المنقوش وَيُسَمَّى الْحَجَرُ وَبِهِ يَصُبُ مَاءُ الْمِيزَابِ الَّذِي فَوْقَ الكعبة وقد وضع تحته قطعة من الحجر الْأَخْضَرِ على شكل محراب يسقط عليها الماء وهي كبيرة بحيث يستطيع رجل أَنْ يَصْلِيَ عليها (خسرو، 1983: 132).

ومقام ابراهيم عليه السلام شَرْقِي الكعبة وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي بِهِ آثَارُ قَدَمِي ابراهيم عليه السلام وَهُوَ مَرْكَبٌ فِي حَجَرٍ آخَرَ وَعَلَيْهِ غَلاَفٌ مَرِيعٌ من الخشب بارتفاع قامة الرجل وَهُوَ فِي غَايَةِ الدقة وَوُضِعَتْ عَلَيْهِ أَلْوَاحٌ من الفضة وَقَدْ أَحْكَمَ رِبطُ الْغَلاَفِ بِالْحَائِطِ بسلاسل من الْجَانِبَيْنِ وَعَلَيْهِ قَفْلَانِ وَذَلِكَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَلْمَسَ الْحَجَرَ وَيَبِينِ الْكُعْبَةَ ومقام إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثُونَ ذِرَاعاً (خسرو، 1983: 132).

ويصف ناصر خسرو، كيفية فتح الكعبة بقوله: ((امتازت قَبِيلَةُ من الْعَرَبِ تسمى بني شَيْبَةَ بِحِفْظِ مِفْتَاحِ بَابِ الْكُعْبَةِ وهم خدماها وَكَانَ لَهُمْ خَلْعٌ ومشاهرات من سُلْطَانِ مصر وَلَهُمْ رَئِيسٌ بِيَدِهِ الْمِفْتَاحُ وَحِينَ يَجِيءُ يَصَاحِبُهُ خَمْسَةٌ أَوْ سِتَّةُ أَفْرَادٍ وَحِينَ يَصْلُونَ يَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ عَشْرَةٌ من الْحَجَّاجِ فيرفعون السَّلمَ الَّذِي قَدَمْنَا وَصَفَهُ وَيَضْعُونَهُ أَمَامَ الْبَابِ فيصعد هَذَا الشَّيْخُ وَيَقِفُ على العتبة ويصعد بعده رَجُلَانِ ويرفعان الستار والديباج الْأَصْفَرَ يمسك كل مِنْهُمَا طَرَفًا مِنْهُ بِحَيْثُ يَحْجُبُ الشَّيْخُ وَهُوَ يَفْتَحُ الْبَابَ يَفْتَحُ الشَّيْخُ القفل وينزعه من الْحَلْقِ بَيْنَمَا الْحَجَّاجُ وَقُوفٌ أَمَامَ الْكُعْبَةِ فحين يفتح الْبَابَ يرفعون أَيْدِيَهُمْ بِالْذُّعَاءِ فَيَعْرِفُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَهُمْ بِمَكَّةَ أَنَّ بَابَ الْكُعْبَةِ قَدْ فُتِحَ فَيَرْفَعُ النَّاسُ جَمِيعًا أَصْوَاتَهُمْ عَالِيَةً وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وتحدث جلجلة عَظِيمَةٌ بِالْبَلَدِ ثُمَّ يَدْخُلُ الشَّيْخُ بَيْنَمَا الرِّجَالُ يَمْسُكُونَ الستار وَيُصْلِي رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْتَحُ الْبَابَ على مصراعيه وَيَقِفُ على

العتبة وَيَقْرَأُ الْخُطْبَةَ عَلَيْهِمْ بِصَوْتٍ مُرْتَفَعٍ وَيُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَقِفُ الشَّيْخُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى جَانِبِي بَابِ الْكُعْبَةِ بَيْنَمَا يَأْخُذُ الْحَجَّاجُ فِي
الصُّعُودِ وَدُخُولِ الْكُعْبَةِ فَيُصَلِّي كُلُّ مِنْهُمْ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَخْرُجُ وَيَدُومُ ذَلِكَ إِلَى قَرَبِ مُنْتَصَفِ
النَّهَارِ وَيُؤَلُّونَ وَجُوهَهُمْ أَثْنَاءَ صَلَاتِهِمْ بِالْكُعْبَةِ نَحْوَ الْبَابِ مَعَ جَوَازِ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْجَوَانِبِ
الْأُخْرَى وَقَدْ أَحْصَيْتِ النَّاسَ فِي وَقْتِ كَانَتْ الْكُعْبَةُ مَمْتَلئةً فِيهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِهَا مَكَانٌ
لِدَاخِلِ فَكَانُوا عَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ وَعَامَةً حِجَاجِ الْيَمَنِ يَشْهَبُونَ الْهِنُودَ فَكُلُّ مِنْهُمْ
يَتَشَحُّ بِفُوطِهِ وَشَعُورِهِمْ مِتْدَلِيَةً وَلِحَاهُمْ مَضْفَرَةٌ وَفِي وَسْطِ كُلِّ مِنْهُمْ حَرَبَةٌ قُطَيْفِيَّةٌ كَأَلَّتِي
يَتَمَنَّقُ بِهَا الْهِنُودُ وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ الْهِنُودِ مِنَ الْيَمَنِ وَأَنَّ قِتَالَةَ أَصْلَهَا كِتَارَةٌ (الحرية) ثُمَّ
عَرَبَتْ وَبَفَتْحِ بَابِ الْكُعْبَةِ أَيَّامَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ مِنْ أَشْهُرِ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ
وَشَوَالٍ فَإِذَا جَاءَ ذُو الْقَعْدَةِ أَغْلِقَ الْبَابَ (خسرو، 1983: 134).

4.1.6: بئر زمزم:

يَقَعُ بئرُ زَمْزَمَ، شَرْقِي الْكُعْبَةِ حِذَاءَ رُكْنِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَبَيْنَ زَمْزَمَ وَالْكُعْبَةِ سِتًّا
وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَسَعَةُ الْبُئْرِ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَنِصْفٍ فِي مِثْلِهَا وَمَاؤُهَا مِلْحٌ وَلَكِنَّهُ يَسْتَسَاغُ وَقَدْ بَنَوْا
عِنْدَ فَوْهَتِهَا خَرَزَةً مِنَ الرِّخَامِ الْأَبْيَضِ ارْتِفَاعُهُ ذِرَاعَانِ وَفِي جَوَانِبِ حَجَرَةِ زَمْزَمَ الْأَرْبَعَةِ
أَحْوَاضٌ يَصُبُّ فِيهَا الْمَاءُ وَيَتَوَضَّأُ النَّاسُ بِهِ وَأَرْضُهَا مِنَ الْخَشَبِ الْمَشْبُوكِ لِيَسِيلَ الْمَاءُ الَّذِي
يَرِاقُ بِهَا وَبِأُحَادِثِ الْمَشْرِقِ، وَأَمَامَ الْبُئْرِ نَاحِيَةُ الْمَشْرِقِ بِنَاءٌ آخَرُ مَرِيعٌ عَلَيْهِ قَبَّةٌ يُسَمَّى
سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَضَعُ بِهِ أَزْيَارٌ يَشْرَبُ مِنْهَا الْحَجَّاجُ وَبَعْدَ هَذَا الْبِنَاءِ نَاحِيَةُ الشَّرْقِ بِنَاءٌ آخَرُ
مُسْتَطِيلٌ عَلَيْهِ ثَلَاثُ قُبَابٍ يُسَمَّى خَزَانَةَ الزَّيْتِ بِهِ الشَّمْعُ وَالزَّيْتُ وَالْقِنَادِيلُ
(خسرو، 1983: 133).

وَحَوْلَ الْكُعْبَةِ أَعْمَدَةٌ يَتَصَلُّ بِبَعْضِهَا بِالْبَعْضِ بِوِاسْطَةِ عُرُوقٍ مِنَ الْخَشَبِ عَلِمَها
زُخَارِفٌ وَنُقُوشٌ مِنَ الْفُضَّةِ وَمَعْلُوقٌ بِهَا الْحُلُقُ وَالْكَلاِبَاتُ حَتَّى يُوَضَّعَ الشَّمْعُ فِي هَذِهِ وَتَدُلُّ
الْمَصَابِيحُ مِنْ تِلْكَ بِاللَّيْلِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَوْضِعُ الْمَشَاعِلَ وَيُفَصِّلُهُ عَنِ الْكُعْبَةِ خَمْسُونَ وَمِائَةً
ذِرَاعًا وَهِيَ مَسَافَةُ الطَّوَافِ فَجَمَلَةُ الْمَبَانِي الَّتِي بِسَاحَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عِدا الْكُعْبَةِ الْمُعْظَمَةُ

شرفها الله تَعَالَى ثَلَاثَةَ هَيَّ بَيْتَ زَمْزَمَ وَسَقَايَةَ الْحَاجِّ وَخَزَانَةَ الزَّيْتِ وَتَحْتَ السَّقْفِ الْمُحِيطِ
بِالْمَسْجِدِ بِجَانِبِ الْحَائِطِ صِنَادِيقٍ مِنْ جَمِيعِ مَدَنِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ وَالرُّومِ وَالْعِرَاقِيِّينَ
وخراسان وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَغَيْرَهَا (خسرو، 1983: 62).

2.6: وصف رحلات الحج:

وصف ناصر خسرو رحلته إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج والعمرة التي قام
بهما أربع مرات (خسرو، 1983: 44).

فقد سار سنة 437هـ/ 1047م، من بيت المقدس إلى المدينة المنورة ومنها إلى مكة
عبر وادي القرى، وذكر أنه سافر ماشيا إلى الحجاز برفقة دليل اسمه أبو بكر الهمداني، في
منتصف ذي القعدة من نفس السنة، ووصل إلى وادي القرى بعد ثلاثة أيام، ومنها إلى
المدينة ومن ثم وصل إلى مكة بعد عشرة أيام من المسير (خسرو، 1983: 74).

ويشير إلى أن موسم الحج في هذه السنة كان قليلا بسبب المجاعة في المنطقة، إلى
درجة انتشرت فيها سرقات الأعراب لقوافل الحجيج مما أثار فيهم الخوف والرعب، مما
جعله يستهنز الرجوع إلى الشام بعد يومين من وصوله إلى مكة (خسرو، 1983: 74).

وأشار إلى أن حجاج مصر يأتون إلى الديار المقدسة عبر طريقيين الأول بري والآخر
بحري، ويسير الأول عبر صحراء مساحتها 300 فرسخ بخمسة يوما، وهو الطريق العام
الذي تسلكه معظم الرحلات بين البلدين، والطريق الثاني بحري حيث تسير الرحلة نحو
ميناء الجارومنها إلى المدينة ومن ثم مكة المكرمة (ابن حوقل، 1937: 42).

وكانت رحلات الحج المصرية إلى الديار المقدسة رسمية تحت إشراف حكام مصر
الفاطميين، ويبدأ الناس هناك الاستعداد للسفر من بداية ذي القعدة، ويجتمعون قبل
الانطلاق في منتصف الشهر المذكور، ويرافق تلك الحملة حملة عسكرية من الجيش
الفاطمي لحمايتها، وحماية الكسوة الرسمية للكعبة المقدسة التي ترسل سنويا من
القاهرة إلى مكة، ويبلغ هؤلاء مكة بعد رحلة تصل إلى خمسة وعشرين يوما ويقون فيها
عشرة أيام ويعودون إلى مصر في خمس وعشرين يوما (خسرو، 1983: 110).

وفي سنة 439هـ/1049م كانت رحلات الحج إلى الديار المقدسة قليلة من مصر والشام والمغرب بسبب القحط الذي أصاب بلاد الحجاز خلال هذا العام ،مما دفع الحاكم الفاطمي إلى منع السفر إليها خوفا على الناس من الهلاك، وسمح فقط لرحلة خاصة من مصر تحمل الكسوة الرسمية للكعبة، وكان هذا القحط شديدا جدا إلى درجة أدت إلى هجرة الساكنين في مكة وما حولها وفي بلاد الحجاز عموما إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة بسبب الجوع والفقر(خسرو،1983:112).

وتكررت هذه الحادثة سنة 441هـ/1052م، وبنفس الظروف، فجاءت رحلة رسمية من مصر حاملة لكسوة الكعبة التي رافقها ناصر خسرو، ويذكر أن الأسعار ارتفعت إلى درجة أن سعر تأجير الجمل الواحد وصلت إلى خمس دنانير ذهبية، ووصلت تلك الحملة إلى مكة في ثامن ذي الحجة وأدوا الحج (خسرو،1983:112).

وكانت رحلات الحج تتعرض في تلك الفترة إلى هجمات الأعراب بسبب محاولتهم السرقة فضلا عن طلبهم الخفارة منهم مقابل حمايتهم لها، وهو ما سبب نزاعا بينهم، فقد ذكر ناصر خسرو، أن قافلة عظيمة من حجاج المغرب دخلت في صدام مسلخ مع هؤلاء قرب باب المدينة المنورة، كان سببها طلب الأعراب الخفارة منهم، ولما رفضوا ذلك أدى إلى قتال بين الطرفين، كانت النتيجة مقتل ألفين من الحجاج المغاربة، ولم يعد الكثير منهم إلى بلادهم (خسرو،1983:112).

وبسبب تأخر حجاج خراسان عن الوصول إلى مكة بالوقت المناسب بعد وصولهم إلى ميناء الجار عن طريق البحر، ووصلوا إلى المدينة يوم السادس من ذي الحجة، وعليهم قطع مسافة مائة فرسخ حتى يصلوا إلى عرفات، قام هؤلاء بعرض كل واحد منهم أربعين دينار لمن يتمكن من إيصالهم إلى وجهتهم بالوقت المحدد وهي ثلاثة أيام، ويشير ناصر خسرو أنهم تفاضوا مع أصحاب الجمال على هذا الموضوع، فتبنى الأعراب نقلهم خلال يومين ونصف يوم، مقابل الحصول على الذهب، وقام الأعراب بربط الحجاج على جمال سريعة جدا، أصابتهم بالإعياء والجهد ومات منهم أثناء الطريق وهم موثقين على تلك

الجمال، وبقي أربعة منهم دخلوا مكة في الموعد المحدد، وقد حاول هؤلاء مساومة الأعراب بتركهم في الطريق ويعطوهم الأموال، بسبب الإجهاد الذي أصابهم من سرعة النقل، لكن القائمين على حملتهم رفضوا ذلك، وأصروا على إيصالهم في الوقت المناسب (خسرو، 1983:113).

وكانت العمرة تجري في الديار المقدسة عادة في شهر رجب المبارك، ويقوم السكان المجاورون لمكة واهل الحجاز، واليمن بإدائها على اكمل وجه (خسرو، 1983:121).

ويصف ناصر خسرو عمرة الجعرانة وصفا خاصا، مشيرا إلى مجموعة من الطقوس الدينية التي يقوم بها الناس هناك، فقد قال: ((على أَرْبَعَةِ فَراسخٍ من شمال مَكَّة مَكَانٌ يُسَمَّى الْجِعْرَانَةَ كان به النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ جَيْشِهِ فِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَأَحْرَمَ مِنْهُ وَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ وَأَعْتَمَرَ وَهَنَّاكَ بَثْرَانِ بَثْرَ الرَّسُولِ وَبَثْرَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَمَاءُ الْبَثْرَيْنِ عَذِبٌ جَدًّا وَبَيْنَهُمَا عَشْرُ أَذْرَعٍ وَقَدْ اتَّخَذَتْ هَذِهِ الْعُمْرَةُ النَّبَوِيَّةُ سَنَةً تُؤَدِّي فِي هَذَا الْمَوْسِمِ وَقَرَبِ الْبَثْرَيْنِ صَخْرَةً كَبِيرَةً فِيهَا فَجَوَاتٌ كَانَتْهَا كُؤُوسٌ يُقَالُ إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَجَنَ الدَّقِيقَ فِيهَا بِبَيْدَيْهِ وَالَّذِينَ يَزُورُونَ هَذَا الْمَكَانَ يَعْجَنُونَ الدَّقِيقَ بِأَيْدِيهِمْ بِمَاءِ هَذَيْنِ الْبَثْرَيْنِ وَيَتَخَذُونَ مِنَ الْأَشْجَارِ الْكَثِيرَةِ هُنَاكَ وَقُودًا لِلْخَبْزِ الَّذِي يَرْسُلُونَهُ إِلَى الْأَقْطَارِ تَبْرَكَا وَهَنَّاكَ أَيْضًا صَخْرَةً كَبِيرَةً مُرْتَفَعَةً يُقَالُ إِنَّ بِلَالًا الْحَبَشِيَّ كَانَ يَقِفُ عَلَيْهَا وَيُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ وَيَصْعَدُ عَلَيْهَا الزَّائِرُونَ وَيُؤَذِّنُونَ وَحِينَ كُنْتَ بِالْجِعْرَانَةِ كَانَ بِهَا نَاسٌ كَثِيرُونَ وَكَانَ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ جَمَلَ بِالْعِمَارَاتِ مِمَّا يَبِينُ كَثْرَةُ الزَّائِرِينَ الْآخِرِينَ)) (خسرو، 1983:134).

وعرفت ذلك المكان الطاهر كان له نصيب من وصف ناصر خسرو له، فقد قال عنه: ((وَتَقَعُ صَحْرَاءُ عَرَفَاتٍ بَيْنَ جِبَالٍ صَغِيرَةٍ كَالْتَلالِ وَمَسَاحَتِهَا فَرَسَخَانِ فِي مِثْلِهِمَا وَكَانَ بِهَا مَسْجِدٌ بِنَاءُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُ مِنْبَرٍ خَرِبَ مِنَ الطُّوبِ النَّبِيُّ يَصْعَدُ عَلَيْهِ الْخَطِيبُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَيَخْطُبُ ثُمَّ يُؤَذِّنُونَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَصَلُّونَ جَمَاعَةً رَكَعَتَيْنِ سَنَةَ الْمُسَافِرِينَ ثُمَّ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَصَلُّونَ جَمَاعَةً رَكَعَتَيْنِ آخَرَيْنِ ثُمَّ يَجْلِسُ

الْخَطِيبَ عَلَى جَمَلٍ وَيَتَّجِهَ شَرْقًا وَالنَّاسَ وَرَاءَهُ وَعَلَى بَعْدِ فَرَسَخٍ جَبَلٍ حَجْرِي صَغِيرٍ يُسَمَّى جَبَلِ الرَّحْمَةِ (انظر التعليق رقم 71) هُنَاكَ يَقِفُونَ وَيَدْعُونَ حَتَّى وَقْتُ الْغُرُوبِ)) (خسرو، 136:1983).

وَقَدْ أَوْصَلَ ابْنُ شَادَنٍ دَلَّ الَّذِي كَانَ أَمِيرًا لِعَدَنِ الْمَاءِ إِلَى جَبَلِ الرَّحْمَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَأَنْفَقَ فِي ذَلِكَ مَا لَا طَائِلًا وَيَحْمِلُ الْمَاءَ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ إِلَى صَحْرَاءٍ عَرَفَاتٍ حَيْثُ عَمِلَتْ أَحْوَاضٌ تَمْلَأُ مَاءً أَيَّامَ الْحَجِّ حَتَّى يَتَيَسَّرَ الْمَاءُ لِلْحَجِيجِ وَقَدْ بَنَى هَذَا الْأَمِيرُ فَوْقَ جَبَلِ الرَّحْمَةِ طَاقًا مَرَبَعًا كَبِيرًا يَضَعُونَ فَوْقَ قُبَّتِهِ كَثِيرًا مِنَ الْقَنَادِيلِ وَالشَّمُوعِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ وَيَوْمَهُ فَيَرَى نُورَهَا مِنْ مَسَافَةِ فَرَسَخَيْنِ وَقِيلَ إِنَّ أَمِيرَ مَكَّةَ أَخَذَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ ابْنِ شَادَنٍ دَلَّ لِيَجِيزَ لَهُ إِقَامَةَ هَذَا الطَّاقِ)) (خسرو، 136:1983).

ثم أدى ناصر خسرو حجته الرابعة سنة 442هـ/1051م، ووصف تلك الحجة وصفا دقيقا، فقال: ((فِي التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ (27 أبريل 1051) قَضَيْتُ الْحِجَّةَ الرَّابِعَةَ بِعَوْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ عَادَ الْحَجَّاجُ وَالْخَطِيبُ مِنْ عَرَفَاتٍ وَسَارُوا فَرَسَخًا إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ (انظر التعليق رقم 72) وَيَسْمُونَهُ الْمَزْدَلِفَةَ (انظر التعليق رقم 73) وَهُنَاكَ بِنَاءٌ جَمِيلٌ كَالْمَقْصُورَةِ يُصَلِّي فِيهِ النَّاسُ وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ حِجَارَةَ الرَّجْمِ الَّتِي يَزْمُونَهَا بِمَنَى وَالْعَادَةُ أَنْ يَقْضِيَ الْحَجَّاجُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَهِيَ لَيْلَةُ الْعِيدِ هُنَاكَ حَيْثُ يَصْلُونَ الْفَجْرَ وَعِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مِنَى (انظر التعليق رقم 74) حَيْثُ يَضْحَوْنَ وَهُنَاكَ مَسْجِدٌ كَبِيرٌ يُسَمَّى مَسْجِدَ الْخَيْفِ (انظر التعليق رقم 75) وَلَيْسَ مِنَ الْمَفْرُوضِ إِلْقَاءُ خُطْبَةٍ وَصَلَاةٍ، الْعِيدِ بِمَنَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِمَا الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَكُونُ الْحَجَّاجُ بِمَنَى فِي الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَهُنَاكَ يَزْمُونَ الْحِجَارَةَ وَشَرَحَ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَفِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يُغَادِرُ مِنَى مِنْ عَزَمَ عَلَى الْعُودَةِ لِبَلَادِهِ وَيَذْهَبُ إِلَى مَكَّةَ أَهْلَهَا)) (خسرو، 137:1983).

أشار ناصر خسرو إلى أن كل مدينة وقرية مر بها مسجد وجامع تقام فيه الصلوات اليومية فضلا عن صلاة الجمعة، إلا أنه ذكر أن ذلك كان معدوما في الحسا فقد قال:

((وَلَيْسَ فِي مَدِينَةِ الْحَسَا مَسْجِدٌ جُمُعَةٌ وَلَا تُقَامُ بِهَا صَلَاةٌ أَوْ خُطْبَةٌ إِلَّا أَنْ رَجَلًا فَارْسِيَا اسْمُهُ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَسْجِدًا وَهُوَ مُسْلِمٌ حَاجٌ غَنِيٌّ)) (خسرو، 1983:143).

كما أورد مكان قبر الصحابي الجليل عبد الله بن عباس في الطائف، وان خلفاء بغداد بنوا حوله مسجدا كبيرا يقع القبر في زاويته على يمين المحراب والمنبر (خسرو، 1983:137).

وذكر أن ديانة أهل الاحساء من القرامطة، فقد ورد عنه قوله: ((وَقد ردهم عَن الإسلامَ وَقَالَ إِنِّي أَغْفِيْتَكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ مَرْجِعُهُمْ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَيْهِ وَأَسْمُهُ أَبُو سَعِيدٍ وَحِينَ يَسْأَلُونَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ يَقُولُونَ إِنَّا أَبُو سَعِيدِيُونَ وَهُمْ لَا يَصِلُونَ وَلَا يَصُومُونَ وَلَكِنْهُمْ يَقْرُونَ بِمُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِرِسَالَتِهِ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ أَبُو سَعِيدٍ إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكُمْ يَغْنِي بَعْدَ الْوَفَاةِ وَقَبْرُهُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ بَنَوْا عِنْدَهُ قَبْرًا جَمِيلًا وَقَدْ أَوْصَى أَبْنَاءَهُ قَائِلًا (يَرْعَى الْمَلِكُ وَيَحَافِظُ عَلَيْهِ سِتَّةٌ مِنْ أَبْنَائِي يَحْكُمُونَ النَّاسَ بِالْعَدْلِ وَلِلْقِسْطِ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى أَعُودَ، وَعَلَى بَابِ قَبْرِ أَبِي سَعِيدٍ حَصَانٌ مُهَيَّأٌ بِعُنَايَةِ عَلَيْهِ طَوْقٌ وَلِجَامٌ يَقِفُ بِالنُّوبَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ يَرْكَبُهُ حِينَ يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا وَيُقَالُ إِنَّهُ قَالَ لِأَبْنَائِهِ حِينَ أَعُودَ وَلَا تَعْرِفُونَنِي إِضْرِبُوا رِقْبَتِي بِسَيْفِي فَإِذَا كُنْتُ أَنَا حَيِّتٌ فِي الْحَالِ وَقَدْ وَضَعْتَ هَذِهِ الدَّلَالَةَ حَتَّى لَا يَدْعِيَ أَحَدٌ أَنَّهُ أَبُو سَعِيدٍ)) (خسرو، 1983:144).

7. الأحوال الاجتماعية في بلاد العرب:

يعطي ناصر خسرو، انطبعا قاسيا ومؤلما لواقع العرب في الأرياف والبادية، مفادها انتشار الجهل والفقر والقتل، وانعدام أبسط وسائل العيش الكريمة، تلك العبارات لخصها بقوله: ((عندي أن كل البدوي يشبهون أهل الحسا فلا دين لهم ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة أقول هذا عن بصيرة لا شيء فيه من الأراجيف فقد عشت في وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إليّ كلما طلبت ماء لأشرب فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون أطلبه حيثما

تراه ولكن عند من تراه وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم)) (خسرو، 1983:145).

وأن هذا الكلام لم يأت من فراغ بل بسبب البيئة القاسية التي يعيش فيها هؤلاء ناهيك عن موجات القحط والجفاف التي تضرب البلاد بين فترة وأخرى، وقد عاصر بعضها ناصر خسرو بنفسه (خسرو، 1983:111:123:145)، كل هذا يؤثر بشكل سلبي على الواقع الاجتماعي للمنطقة بأكملها مدنا وبادية، فضلا عن كل طبقات المجتمع العربي في بلاد العرب.

ولعل الغريب في الأمر أن حكام الاحساء من القرامطة رغم فساد معتقدتهم الديني فإنهم ابتكروا نظاما اجتماعيا فريدا في بلاد العرب في القرن الخامس الهجري، كان يقوم على تبني الدولة رعاية سكانها ومساعدة المحتاجين منهم ماديا ومعنويا، من خلال تعويض الخسائر التي قد يتعرض لها العاملون في التجارة، فضلا عن إيجاد وسائل العمل الحرفي لمن لا يملك حرفة يعتاش منها (خسرو، 1983:143).

8. خاتمة:

كان أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة مما يأتي:

1- تعد رحلة سفر نامة لناصر خسرو، من أهم الرحلات الجغرافية في القرن الخامس الهجري، بفضل ما جاء فيها من المعلومات الثرية عن الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية للعالم الإسلامي آنذاك، ناهيك عن دقة الملاحظة، وقوة الحافظة التي تمتع بها المؤلف، ونوعية المادة التي أوردتها في كتابه ساهمت في بروز رحلته على المستوى العالم، فقد ترجمت إلى عدة لغات أجنبية.

2- عكف ناصر خسرو، على وصف المناطق والمدن والأقاليم التي مر بها أثناء رحلته وصفا جغرافيا متنوعا، فقد وصف مناخها والمسافات فيما بينها، تبعا لأهمية المنطقة وتأثيرها الاقتصادي والسياسي والديني.

- 3- كانت الأوضاع السياسية لبلاد العرب في القرن الخامس الهجري، مضطربة بشكل كبير، فقد انعدم وجود الدولة الواحدة القوية المستقرة التي تحفظ امن المنطقة وحياة سكانها، مما ترتب على ذلك انتشار السرقة والسطو ومهاجمة قوافل الحجيج، وفضلا عن الجوع والجهل الذي ضرب بإطنابه في أرجاء شبه جزيرة العرب.
- 4- كانت بلاد الحجاز واليمن تابعة سياسيا وإداريا للدولة الفاطمية في مصر، فهي كانت تشرف على مراسيم أداء شعائر الحج، ومن يقوم بالأشراف السياسي على المنطقة يكون تابعة لهذه الدولة، أما بقية المناطق فقد كانت مستقلة بذاتها كل منطقة يحكمها رئيس أو حاكم مستقل غالبا ما يدخل في صراع مع جيرانه، فيما كانت القطيف والاحساء تابعة لدولة القرامطة في فترة الدراسة.
- 5- امتازت بلاد العرب في فترة الدراسة بتنوع الإنتاج الاقتصادي بحسب الموقع الجغرافي والتأثير المناخي، فالزراعة كانت منتشرة في اليمن والبحرين واليمامة والاحساء والطائف، فيما كانت التجارة في المدن الكبيرة والرئيسية مثل مكة والمدينة وجدة، فضلا عن شرق شبه جزيرة العرب.
- 6- أورد ناصر خسرو بإسهاب، وصف المناطق المقدسة في شبه جزيرة العرب خاصة مكة والمدينة، فقد وصف المسجد الحرام وصفا رائعا بما فيها الكعبة المشرفة، وما كتبه له قيمة تاريخية وحضارية هامة لأنه شاهد عيان رأى تلك المناطق بنفسه.
- 7- شاهد ناصر خسرو بنفسه حجم الجهل والفساد وانعدام الثقافة في مناطق القبائل المحيطة بالمدن وتلك التي على طريق رحلة عودته نحو بلاد فارس، وهي نتيجة طبيعية لانعدام الأمن والاستقرار السياسي واهتمام الحاكمين عليها.

التعليقات:

- 1- قباديان : من مدن (مروشاهجهان) الواقعة بشمال إقليم خراسان من نواحي مدينة (بلخ) وتقع (قباديان) شمالي شرقي (بلخ)، (الاميني، 2022:10:1984).
- 2- مرو: مدينة كبيرة تعرف بمرو الشاهجان، من مدن خراسان تبعد عن نيسابور، عشر مراحل (اليعقوبي، 207:1422).

- 3- السلاجقة: قبائل تركمانية تنحدر من قبائل الغز، استوطنت في بلاد تركستان قبل توجهها نحو الغرب ونجحت في تأسيس دولة قوية في آسيا الوسطى وخراسان ومن ثم السيطرة على بغداد في سنة 447هـ، (الصلابي، 2006: 22-32).
- 4- دخشان: إقليم جبلي يقع في آسيا الوسطى، وهو حاليا مقسمة بين أفغانستان، وطاجيكستان، (دفترى، 2016: 140).
- 5- الحجاز: اسم يطلق على المنطقة الواقعة بين بادية الشام شمالا واليمن جنوبا، ومن تخوم صنعاء من العباء وتباله إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازا لأنه حجز بين تهامة ونجد، (ياقوت الحموي، 1995: 2: 218).
- 6- نجد: أسم يطلق على المنطقة الواقعة شرق بلاد الحجاز وتتشكل طوليا من شمال اليمن وعمان من منطقة الفلج والعروض حتى تتصل ببادية العراق والشام في شمال شبه جزيرة العرب، (ابن الفقيه الهمداني، 1996: 84).
- 7- نيسابور: مدينة تبعد عن الري مائة وستون فرسخا، ومنها إلى سرخس أربعون فرسخا، ومن سرخس إلى مرو الشاهجان ثلاثون فرسخا، (ياقوت الحموي، 1995: 5: 331).
- 8- نباوند: كورة من كور الري بينها وبين طبرستان، (ياقوت الحموي، 1995: 5: 385).
- 9- قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخ، (ياقوت الحموي، 1995: 4: 342).
- 10- تفليس: مدينة بأرمينية بينها وبين قاليقلا ، ثلاثون فرسخا، ومن قاليقلا ابتداء الأنهار العظام أولها الفرات، يأخذ من قاليقلا على فرسخين، ثم يشق مغربا إلى دبيل، ثم إلى وراثان، ثم يصب إلى بحر الخزر، (اليعقوبي، 1422: 207).
- 11- ميفارقين: بلد معروف بديار بكر، بينه وبين آمد ثلاثة برد، (البكري، 1403: 4: 1286).
- 12- آمد: مدينة حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة على نشز من الأرض، ودجلة محيطة بها من جوانبها إلا من جهة واحدة على شكل الهلال. وفي وسطها عيون وآبار عمقها ذراعان. وإنها كثيرة الأشجار والبساتين والثمار والزروع، (ينظر: القزويني، د.ت: 97).

- 13- طرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا، ينظر: ياقوت الحموي، (219:1:1995).
- 14- معرة النعمان: مدينة من مدن كورة حمص في بلاد الشام، ينظر: ابن خردادبة، (75:1889).
- 15- عكا: مدينة كبيرة، من ثغور الشام واسعة بينها وبين طبرية يومان(الحميري، 410:1984).
- 16- طبرية: وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت القدس، وبينها وبين عكا يومان، (ياقوت الحموي، 17:4:1995).
- 17- الرملة: وهي من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين وهي مدينة مسورة ولها اثنا عشر باباً(الحميري، 286:1984).
- 18- الخليل: أسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم، عليه السلام، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد، وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون (ياقوت الحموي، 387:2:1995).
- 19- عسقلان: وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام (ياقوت الحموي، 122:4:1995).
- 20- تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقها، وبها تعمل الثياب الملونة،(ياقوت الحموي، 44:1:1995).
- 21- أسوان: وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه، وصفت بأنها مدينة المعادن (ياقوت الحموي، 191:1:1995).
- 22- عيذاب: مدينة على ضفة الغربية للبحر الأحمر المعروف ب(بحر القلزم)، ومن عيذاب يعبر إلى ساحل الحجاز إلى جدة، ومن عيذاب يسلك إلى بلاد اليمن والهند وغير ذلك من البلاد وتعد من بلاد البجة.(مؤلف مجهول، 87:1986).
- 23- جدة: بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال(ياقوت الحموي، 114:2:1995).
- 24- الفلج: قرية عظيمة لبني جعدة بها منبر، يُقال له فلج الأفلاج من ناحية اليمامة، (الحازمي، 738:1415).

- 25- اليمامة: وبينها والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جواً والعروض (ياقوت الحموي، 1995:5:441).
- 26- الاحساء: مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجناني القرمطي، وهي مدينة مشهورة عامرة. وأحساء بني وهب، على خمسة أميال من المرتعى، بين القرعاء وواقصة، على طريق الحاج، فيه بركة وتسع أباركبار وصغار، (ياقوت الحموي، 1995:11:1).
- 27- مهران: من مدن إقليم فارس، بينها وبين ريشهر مرحلة، معروفة بالأسماك والتمور، المقدسي، 1991:442).
- 28- أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخيل كثيرة وزيتون وفواكه الجروم والصرود، وهي بريّة بحرية، سهليّة جبليّة، مأوها يسبح بينها وبين البحر مرحلة، بينها وبين شيراز ستون فرسخاً، بينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً، (ياقوت الحموي، 1995:143:1).
- 29- أصفهان: وهي من بلاد فارس، وهما مدينتان بينهما مقدار ميلين إحداهما تعرف باليهودية وهي أكبرهما، والثانية تعرف شهرستان وفي كل واحد منهما منبر، واليهودية مثلاً شهرستان في المساحة، وهما أخصب مدن الجبال وخراسان، (الحميري، 1984:43).
- 30- عبادان: بينها وبين البصرة مرحلتان، وهي حصن صغير عامر على شط البحر وإليه يصل جميع مياه دجلة، وهو في الضفة الغربية من دجلة، ومنها إلى الخشبات ستة أميال وهذه الخشبات على متصل بحر فارس بمصب دجلة وهي خشبات مغروزة في قعر البحر، (الادريسي، 1409:1:385).
- 31- مهرة: منطقة ساحلية من بلاد اليمن وهي نفسها منطقة الشحر، وهي تمتد بينها وبين عمان (البكري، 1403:3:783).
- 32- حضر موت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود، عليه السلام، ويقربها بئر بهوت المذكورة فيما تقدم، ولها مدينتان يقال لإحداهما تريم وللأخرى شبام، وعندها قلاع وقرى، وهي مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال، وبينه

وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخا، وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخا وبينها وبين عدن مسيرة شهر، ينظر: (ياقوت الحموي، 1995:2:269).

33-عدن: مدينة باليمن بينها وبين أبين اثنا عشر ميلاً، وهي، مدينة صغيرة، وإنما أشتهر أسمها لأنها مرسى البحرين، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين، وإليها يجلب متاع الصين (الحميري، 1984:268).

34-مدين: مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي أستقى منها موسى، عليه السلام، لسائمة شعيب، ومدين اسم القبيلة، وهي مدينة قوم شعيب سميت بمدين بن إبراهيم، عليه السلام وقيل: مدين تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل (ياقوت الحموي، 1995:5:77).

35-أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، (ياقوت الحموي، 1995:1:292).

36-ميناء الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم وليلة، وبينها وبين أيلة نحو من عشر مراحل، وإلى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل (ياقوت الحموي، 1995:1:92).

37-وادي القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد وأثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد (ياقوت الحموي، 1995:4:338).

38-الجحفة: قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمرّوا على المدينة، فإن مرّوا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل أجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وبينها وبين ساحل الجار نحو ثلاث مراحل، وبينها وبين أقرن موضع من البحر ستة أميال، وبينها وبين المدينة ست مراحل، وبينها وبين غدير خمّ ميلان، (ياقوت الحموي، 1995:2:111).

- 39- جبل أبي قبيس: أسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقهما، وقعيقعان من غربهما، قيل سمي باسم رجل من مذحج كان يكتي أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه قبة (ياقوت الحموي، 1995:1:80).
- 40- برقة: موضع بالمدينة من الأموال التي كانت صدقات رسول الله وبعض نفقاته على أهله منها، (ياقوت الحموي، 1995:1:390).
- 41- قلعة جزع: توجد عدة أماكن بين الطائف ونجد تحمل أسم جزع منها جزع الدواهي، وجزع بين حماز، وجزع بني كوز، (ياقوت الحموي، 1995:2:134).
- 42- القطيف: وهي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة هناك غلب عليها الآن اسم هذه المدينة (ياقوت الحموي، 1995:4:378).
- 43- تهامة: قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة أولها في البحر القلزمي ومشرفة عليه وحدودها في غربها بحر القلزم وفي شرقها جبال متصلة من الجنوب إلى الشمال، وطول أرض تهامة من الشرجة إلى عدن على الساحل اثنتا عشرة مرحلة، وفي شرقها مدينة صعدة وجرش ونجران، وفي شمالها مكة وجدة وفي جنوبها صنعاء نحو عشرين مرحلة (الحميري، 1984:141).
- 44- صعدة: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخا، وهي، مدينة عامرة أهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التي للنعال، وهي خصبة كثيرة الخير (ياقوت الحموي، 1995:3:406).
- 45- زبيد: واد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن، وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب (ياقوت الحموي، 1995:3:131).
- 46- صنعاء: قصبة بلاد اليمن، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلا، وهي دار اليمن وأحسن بلادها، تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها (ياقوت الحموي، 1995:3:426).
- 47- نجران: من بلاد اليمن، سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وممن كان في الفترة أصحاب الأخدود، وكانوا بنجران، وبلغ ذا نواس أن قوماً بنجران على دين المسيح، وكان هو يهودياً، فنهض إليهم بنفسه، وحفر لهم أخاديد وأضرمها ناراً ثم دعاهم إلى اليهودية فمن أبى قذفه في الأخاديد (الحميري، 1984:573).

48-عثر: بلد باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام، على مسيرة سبعة أيام في عرض يومين وهي من الشَّرْجَة إلى حلي، ويبلغ ارتفاعها في السنة خمسمائة ألف دينار، عثُر بها والي تبالة، تعد في أعمال زبيد، وهي معروفة بكثرة الأسود(ياقوت الحموي، 1995:4:85).

49- بيشة: أسم قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن، وهي تصب من اليمن وزينة تصب من سراة تهامة، وبين بيشة وتبالة أربعة وعشرون ميلا، وبيشة من جهة اليمن (ياقوت الحموي، 1995:1:529).

50- تاج المعالي بن أبي الفتوح: الشريف محمد شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي محمد جعفر الحسيني العلوي، ثامن أمراء الأشراف في مكة من بني موسى وأخراهم تولى السلطة (430هـ/ 1038م -453هـ/1061م)، حكم الحرمين (مكة والمدينة) في عهده ولم يعقب له من ولد، فانتقلت السلطة من بعده إلى عبد له (السيد، 2011:160).

51-الخفير: تعني المجير في اللغة (ابن منظور، 1992:4:253).

52-أبو غانم عيسى بن البعير: لم يتسنى لنا العثور على ترجمة له بين المصادر المتوفرة بين أيدينا.

53_بنو سواد: بن الحارث بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، (السمعاني، 1962:7:284).

54-القرامطة: فرقة من الإسماعيلية تنسب إلى قرمط بن حمدان نشأت في شرق الجزيرة العرب وتأسست دولتهم فيها (أبن الجوزي، 1981:38).

55-أبو سعيد: الجنابي وأسمه الحسن بن بهرام، وكان دقاقا، وأقام تاجرا في البحرين ثم تبنى العقيدة الإسماعيلية في المنطقة، قتل على يد غلام صقلي بهجر سنة 301هـ/913م، (أبن الجوزي، 1981:45).

56- شاددل: هناك إشكالية حول هذه الشخصية وهل حكمت ضمن هذه الفترة، فقد ورد أن المقصود به الحسين بن سلامة(الشمري، 2010:15).

57-الحسين بن سلامة:النوبي، حاكم اليمن كان عصامي من الدهاة، كان أسوداً نوبياً من موالى بني زياد "ولاة اليمن"، ولما تضعضع أمرهم بعد وفاة سيده عبد الله بن إسحاق وتغلب ولاة

الحصون والجبال على ما بأيديهم نهض الحسين فتسلم مقاليد الإمارة في سنة 375 هـ/985م، وقرر قواعدها، وحارب العصاة، فانتظم له عقد اليمن كله، وقد كان عادلاً حسن السيرة، يشبهونه بعمر بن عبدالعزيز. اختط مدينة الكدراء "على وادي سهام" ومدينة المعفرة" وهي القحمة" وعمر العقبة "كرا" التي بين مكة والطائف عمارة متقنة. قال عمارة اليميني: "وهو الذي أنشأ الجوامع الكبار والمنابر الطوال من حصرموت إلى مكة (وطول هذه المسافة ستون يوماً)، وحفر الآبار والقلب في المفاوز، وآثاره كثيرة، (أبن الاثير، 1997:5:782).

58-دانق: وحدة للقياس والنقد، وهي تعادل السدس أو ربع درهم أو سدس دينار أو المثقال (هنتس، 1971:29).

59-المن: وحدة وزن تساوي رطلين شرعا، كل رطل 130 درهما (هنتس، 1971:46).

60-القوط: ثياب صغار غلاظ، واحدها فوطه: وهي غلاظٌ قصائرٌ تكون مآزرَ (الأزهري، 2001:14:27).

61-الذراع: وحدة طول تقاس بالذراع الشرعية وحجمها 49 سم (هنتس، 1971:46).

62-الطاق: يعني القبو المصنوع من الحجارة والطين، بشكل قوس (ابن منظور، 1991:3:147).

63-الدقاقين: من أبواب المسجد الحرام، (المقدسي، 1991:73).

64-الفسانين: يقع بين باب الدقاقين وباب الصف في المسجد الحرام، (خسرو، 1983:127).

66-باب السطوى: يقع بين باب الصفا وباب التمارين (المقدسي، 1991:73).

67-باب التمارين: يقع بين باب السطوى وباب دار الوزير في المسجد الحرام (المقدسي، 1991:73).

68-باب العجلة: يقع بين باب بني سهم وباب الندوة، ينظر: (المقدسي، 1991:73).

69-باب المشاورة: يقع بين باب دار الندوة وباب بني شيبه، (خسرو، 1983:128).

70-الموشى: الملابس المصنوعة على شكل مكعبات أو مربعات (ابن سيده، 2000:1:410).

71-جبل الرحمة: يقع في آخر المزدلفة، منقطع عن الجبال قائم في وسط البسيط، وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض، (بن جبير، د.ت: 136).

72-المشعر الحرام: يقع في المزدلفة وفيه يصلي الإمام المغرب والعشاء قبل الذهاب إلى منى، (ابن حوقل، 1938:1:33).

73-المزدلفة: وهو مكان بين بطن محسّر والمأزمين، وهي المشعر الحرام ومصلى الإمام يصلي فيه العشاء والمغرب والصبح، وقيل: لأن الناس يدفعون منها زلفة واحدة أي جميعا، وحدّه إذا أفضت من عرفات تريده فأنت فيه حتى تبلغ القرن الأحمر دون محسّر وقزح الجبل الذي عند الموقف، وهي فرسخ من منى بها مصلى وسقاية ومنارة وبرك عدّة إلى جنب جبل ثبير، (ياقوت الحموي، 1995:5:121).

74- منى: تقع في درج الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمّي بذلك لما يمني به من الدماء أي يراق، من مهبط العقبة إلى محسّر وموقف المزدلفة من محسّر إلى أنصاب الحرم (ياقوت الحموي، 1995:5:198).

75-مسجد الخيف: ما أنحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف في منى، وأشهر الأخياف: خيف منى: ومسجده مسجد الخيف، وقالوا: وهو خيف بني كنانة. وخيف نوح: على طريق بدر، من المدينة (ياقوت الحموي، 1995:5:198).

أولاً: المصادر:

- 1- ابن الأثير، علي بن محمد (ت630هـ/1233م) (1997) الكامل في التاريخ، (ط1) تحقيق: عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي.
- 2- الإدريسي، محمد بن احمد (1409)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (ط1) بيروت، عالم الكتب، بيروت.
- 3- الأزهرى، محمد بن احمد (2001)، تهذيب اللغة (ط1) تح: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- 4- الاصطخري، إبراهيم بن محمد (2004)، المسالك والممالك، بيروت، دار صادر.
- 5- ابن جبير، محمد بن احمد (د.ت)، رحلة ابن جبير، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
- 6- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (1981)، القرامطة (ط5)، تح: محمد الصباغ، دمشق، المكتب الإسلامي.
- 7- الحازمي، محمد بن موسى (1415)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة.
- 8- الحميري، محمد بن عبد المنعم، (1980)، الروض المعطار في خبر الأقطار (ط2)، تح: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر الثقافة، مطبعة السراج.

- 9- ابن حنبل، أحمد بن محمد (2001) المسند، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- 10- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل (1938) صورة الأرض، بيروت، دار صادر.
- 11- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (1889)، المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، بيروت.
- 12- خسرو، ناصر (1983)، سفر نامه (ط3)، تر: يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد.
- 13- خسرو، ناصر (1940)، خوان الاخوان، تح: يحيى الخشاب، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية.
- 14- خسرو، ناصر (1372)، الرسالة، طهران، د. مكان الطبع.
- 15- ابن سيده، علي بن اسماعيل (2000)، المحكم والمحيط الأعظم (ط1) تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- 16- السمعاني، عبد الكريم بن محمد، (1962)، الأنساب (ط1) تح: عبد الرحمن يحيى المعلمي وآخرون، الهند، دائرة المعارف العثمانية.
- 17- السيرافي، حسن بن زيد، (1999)، رحلة السيرافي، أبو ظبي، نشر المجمع الثقافي.
- 18- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (1989)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، (ط1)، تح: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة ابن رشد.
- 19- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (1403)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط3) بيروت، عالم الكتب، بيروت.
- 20- ابن الفقيه الهمداني، احمد بن محمد (1996)، كتاب البلدان، (ط1)، تح: يوسف الهادي بيروت، عالم الكتب.
- 21- القزويني، زكريا بن محمد، د.ت، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.
- 22- مجهول، مؤلف، 1986/ الاستبصار في عجائب الأمصار، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
- 23- المقدسي محمد بن أحمد (1991) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط3) القاهرة، مكتبة مدبولي.
- 24- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (1992)، لسان العرب (ط3) بيروت، دار صادر.
- 25- الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب (1884)، صفة جزيرة العرب، ليدن، د.مكان.
- 26- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (1995)، معجم البلدان، (ط2)، بيروت، دار صادر.
- 27- اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر (1422) البلدان، (ط1) بيروت، دار الكتب العلمية.
- 28- الأمين، محسن العاملي (1984) أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف.
- 29- برو، توفيق (2001)، تاريخ العرب القديم (ط2)، بيروت، دار الفكر.

- 30- برون، جورج(2004)تاريخ الأدب في إيران، تر: ابراهيم أمين، القاهرة، المؤسسة العامة للترجمة، القاهرة.
- 31- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، (1941)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المثنى.
- 32- دفتري، فرهاد(2016) معجم التاريخ الإسماعيلي (ط1)، تر: سيف الدين القصير، بيروت، دار الساقى.
- 33- السيد، فؤاد(2011) معجم القاب السياسيين في التاريخ العربي والإسلامي، بيروت، مكتبة حسن العصرية.
- 34- الصلابي، محمد، 2006، دولة السلاجقة (ط1) بيروت، دار المعرفة،
- 35- علي، جواد، 2001، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط4) بيروت دار الساقى.
- 36- محمدي، محمد، 1374هـ لادب الفارسي، طهران(د.مكان الطبع).
- 37- كرتشكوفسكي، اغناطيوس(1961)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان سليم، القاهرة، جامعة الدول العربية.
- 38- هنتس، فالتر(1970)، المكايل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري، تر: كامل العسلي، عمان ، منشورات الجامعة الأردنية.
- البحوث المنشورة:
- 39- حسن، رمزية حمزة(2016) الجوانب الحضارية في سفر نامه ناصر خسرو، (347-444هـ) الجانب السياسي والعسكري أنموذجاً، جامعة تكريت ،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد(8)، العدد(25).
- 40- الشمري، محمد كريم(2010) الحسين بن سلامة النوبي ودوره في تاريخ اليمن الإسلامي، (373-402هـ / 983-1011م) ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، الجزء الثالث عشر.